السنة العاشرة العدد ٦ ١٥ اذار سنة ١٩٠٧

المشرق

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي وانتقاديٌّ للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ الآداب كصرحٍ منيف لا تزال ايدي الافاضل تفرغ المجهود في بنائهِ فكلٌّ منهم يأتيهِ بحجرهِ ليزيدهُ علوًّا وجمالًا . على انهُ يطرأ على هذا الصرح طوارئ شتَّى فطورًا يبسق ويتعالى وطورًا يتخلَّف بناؤهُ فيصيب بُناتهُ الخمول ولعلَّ صروف الدهر تتحامل عليهِ فتقوّض اركانهُ او تسقطُ بفعل الزمان بعض حجارتهِ .

وكلٌّ يعلم ما كان للآداب العربيَّة في القرون السابقة من الرونق والبهاء فترقَّت الى اوج عزّها وماست بمفاخرها مدَّة اجيالٍ متوالية الى أن خمدت همَّة بُناة صرحها حينًا على وفق سُنَن الطبيعة التي لا تبقى على حالٍ واحدة كما قال الشاعر :

لكلِّ شيءٍ اذا ما تمَّ نقصانُ

وهذه الدنيا لا تُبقي على احدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

لكنَّ هذا الخمول والحمد لله لم يدم زمنًا طويلًا بل كان سباخًا بين يقظتين طيّبتين او شتاء بين ربيعَين كما سترى فازدهرت بعد جفافها شجرة الآداب وراجت بعد كسادها اسواق العلوم حتى بلغت ما نراهُ اليوم من امرها في ظلّ الذات الشاهانيَّة أيّد الله شوكتها

ولمَّا تنفَّس القرن التاسع عشر كانت احوال اوربَّة في هرج ومرج والحروب قائمة على ساق بين دولها فلم تحطّ اوزارها الَّا بعد نفي بونابرت الى سنت هيلانة . وكان الشرق راصدًا لحركات الدول يتحفَّظ ويتصوَّن من كل سوء يتهدَّدهُ فيستعدُّ للحرب ذبًّا عن حقوقهِ . فكانت هذه الحالة لا تسمح بصرف الفكر الى العلوم والآداب وقد قيل في مثلٍ « لنَّ الحرب والعلم على طرفي نقيض فان رجح الواحد خفَّ الآخر » .

ومماَّ قضَ حبل الآداب في ذلك العهد قلّة المدارس يتخرّج فيها الاحداث فغاية ما كان يُرى منها بعض الكتاتيب الابتدائيَّة لا سيَّما قريباً من اديرة الرهبان وكان في الحواضر كدمشق وحلب والاسكندريَّة والقاهرة مدارس اعلى رتبةً لكنَّها في الغالب كانت محصورة في العلوم الدينيَّة وما يُحتاج الى اتقانها من المعارف اللسانيَّة كمبادئ الصرف والنحو

امَّا الكتب فكانت عزيزة الوجود اكثرها من المخطوطات الغالية الثمن التي لا يحصل عليها الَّا القليلون. وكذلك الطباعة العربيَّة كانت اذ ذاك قليلة الانتشار فانَّ مطبوعات اوربَّة العربيَّة لم يكن يعرفها الَّا الأفراد من اهل الشرق فضلًا عن أنها كانت موضوعة لمنفعة العلماء اكثر منها لفائدة الدارسين. اما المطبوعات في الشرق فلم يكن يوجد منها الَّا في دار السلطنة العليَّة وكانت في الغالب تركيَّة (اطلب مقالتنا في الطباعة المشرق ٣: ١٧٤—١٨٠) وفي لبنان كانت مطبعة واحدة عربيَّة وهي مطبعة الشوير وكانت اكثر مطبوعاتها دينيَّة لا مدرسيَّة (المشرق ٣: ٣٥٩—٣٦٢). اما مطبعة قزحيَّا فكانت سريانيَّة ولم تتجدَّد الَّا بعد ثماني سنوات بهمَّة الراهب اللبناني سيرافيم حوقا (المشرق ٣: ٢٥١—٢٥٧). وكذلك مطبعة حلب التي كان انشأها البطريرك اثناسيوس دبّاس (المشرق ٣: ٣٥٥—٣٥٧) فانَّها كانت بطلت بعد وفاة منشئها سنة ١٧٢٤. اما مصر فانَّها حصلت على اوَّل مطبعة عربية قبل القرن التاسع عشر بثلاث سنوات فقط. فانَّ اللجنة العلميَّة التي كانت في صحبة نابوليون كانت أتت بادوات طبعيَّة تولَّى ادارتها المسيو مرسال (Marcel) ومماَّ طبعهُ بادئ بدء كتاب التهجئة في العربيَّة والتركيَّة والفارسية (١٧٩٨) ثم كتاب القراءة العربيَّة ثم معجم فرنسوي وعربي ثم غراماطيق اللغة المصريَّة العاميَّة. وفي سنة ١٨٠٠ عاد مرسال الى باريس وجلب مطبعتهُ معهُ ولم يستأنف المصريُّون فنَّ الطباعة الَّا في أيام محمَّد عليّ سنة ١٨٢٢. وسنعود الى الكلام عنها

ومع قلَّة هذه الوسائل لتحصيل العلوم وُجد قومٌ من الكتبة الذين خدموا في الدواوين المصريَّة والشاميَّة وكانوا يتولَّون قلم الانشاء. فيها عند عمَّال الدولة العليَّة فينالون في الكتابة بعض الشهرة منهم ابراهيم الصبَّاغ واولادهُ الذين اثبتنا ترجمتهم في المشرق (٨: ٢٤) وصار ابنهُ حبيب كاتب القلم العربيّ عند احمد باشا الجزَّار فتسلَّم

دائرتهُ ثم تغيَّر هذا عليهِ فحبسهُ ومات محبوساً · واشتهر المعلّم عبُّود البحري واخواهُ جرمانوس وحنَّا عند ابراهيم باشا اوزون القطراغاسي في حلب وفي دمشق ثم عند خلفيه عبدالله باشا العظم ويوسف آغا كنج كما ذكرنا في ترجمة والدهم ميخائيل البحري (راجع المشرق ٣ : ٢٠—٢٢) وذكرنا هناك ما كان لكل واحد منهم من الهمَّة في خدمة الدولة العليّة واصحابها · اما ابوهم ميخائيل فكان معتزلًا عن الاشغال في بيروت منقطعاً فيها الى العبادة حتى توفي في اوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٠٣ . وقد روينا في ترجمتهِ شيئاً من شعرهِ فانهُ كان رُزق من القريحة والذكاء ما حبَّبهُ الى رجال الدولة وقدَّمهُ في الاعمال وهو لا يزال يُفرغ كنانة الجهد في القيام بالامور وصدق الخدمة ونشأ اولادهُ على وتيرتهِ وترقَّوا في الرُّتب الديوانيَّة الى ان انتقلوا نحو السنة ١٨٠٨ الى مصر ونالوا الحظوى لدى امرائها (المشرق ٣ : ٢١—٢٢) ومن آثارهم رسائل ومكاتبات واشعار قد تبدَّد اكثرها

وكان في صور ايضاً المعلّم حنا عورا من جملة الكتَّاب اخذ عن ابيهِ ميخائيل الذي كان فريدًا في الكتابة يُحسن الانشاء في العربيّة والتركية والفارسية فلمَّا توفّي ميخائيل في سنّ الاربعين نال ابنهُ حنَّا رتبتهُ في ديوان الجزَّار ثم عند سليمان باشا · واستخدم معهُ ابنهُ ابراهيم الذي توفّي بعد سنتين بالطاعون · وبقي حنا من بعدهِ زمناً طويلًا في الاعمال الديوانيّة · وممّن خدموا ايضاً في الدواوين في ذلك الوقت الاخوان ابراهيم وخليل النحَّاس ابنا عم حنَّا عورا كتب الاوَّل في عكا والثاني في صور

واشتهر ايضاً بالكتابة في ذلك الوقت غير هؤلاء كميخائيل سكروج واخيهِ بطرس وابراهيم ابي قالوش ويوسف مارون والياس بن ابراهيم اده الذي دوَّنا سيرتهُ وشعرهُ في المشرق (٢ : ٦٩٣ و٧٣٦) وكذلك فضُّول الصابونجي واخوهُ · خدموا كلهم احمد باشا الجزَّار وذاقوا حلوهُ ومرَّهُ · وفي عهدهم اشتهر عند المير بشير الشهابي جرجس باز واخوهُ عبد الاحد كما حظي عند المير يوسف الشيخ سعد الخوري

وكان في مصر قوم غير هؤلاء يشتغلون في الدواوين في غرَّة القرن التاسع عشر · الّا انَّ شهرتهم في الكتابة كانت دون شهرة السوريين · وممَّن امتازوا اذ ذاك المعلّمان القبطيَّان جرجس الجوهري وغالي · فكان الاوَّل رئيس الكتبة في ايَّام ابرهيم بك وحظي لدى محمَّد باشا خسرو ثم نُكب · وقد ذكرهُ الجبرتي في تاريخهِ عجائب الآثار

وجعل وفاتهُ في شعبان السنة ١٢٢٥هـ. (١٨١٠). وقام من بعده المعلم غالي وكان زاحمهُ في حياته فصار في خدمة محمَّد علي باشا وابنهِ ابراهيم متوليًا رئاسة الكتابة. وكان من جملة كتَّابه قومٌ من نصارى السوريين وغيرهم كجرجس وحنًّا الطويل والمعلّم منصور صربون وبشاره ورزق الله الصبَّاغ والمعلّم فرنسيس اخي المعلّم فلتاوس. وقد تضعضع امرهم بموت المعلّم غالي الذي قُتل سنة ١٨٢٠

وممَّا ساعد اهل مصر على صيانة الآداب العربيَّة في ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلّم فيها نخبة العلماء المسلمين. نريد المدرسة الازهريَّة التي مرَّ في المشرق وصفها (٤٩:٤). وكان متولّي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولدهُ في شرقيَّة بلبيس سنة ١١٥٠هـ. (١٧٣٧) درس في الازهر وانتقلت اليه مشيختهُ سنة ١٢٠٨ وبقي عليها الى سنة وفاته في ٢ شوَّال سنة ١٢٢٧ (١٨١٢) ولهُ عدَّة تصانيف دينيَّة في التوحيد والعقائد والتصوُّف. ومن تآليفهِ مختصر مغني اللبيب في النحو ولهُ في التاريخ كتاب طبقات فقهاء الشافعيَّة المتقدّمين والمتأخرين وكتاب تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين وقد طُبعت هذه التحفة غير مرَّة

وممَّن اصابوا لهم سمعةً في ذلك الوقت من الازهريين الشيخ محمَّد الخالدي المعروف بابن الجوهري فكان اقرأ الدروس في الازهر وطار صيتهُ ووفدت عليهِ الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام. توفّي في ١١ ذي القعدة ١٢١٥ (١٨٠١) وتركتهُ العلميَّة كثيرة وانَّما مدارها على الفقه ومتعلّقاتهِ خاصَّةً

ومن أُدباء الازهريين في ذلك العهد الشيخ مصطفى بن احمد المعروف بالصاوي لزم شيوخ الازهر وبرع في العلوم الدينيَّة واللسانيَّة وكان لطيف الذات مليح الصفات محبًّا للآداب لهُ النثر الطيّب والشعر الحسن روى منهُ الجبرتي شيئًا في عجائب الآثار (٣: ٣١٣—٣١٥) منها قولهُ في وصف دار ابتناها الجبرتي المذكور:

بناءٌ يروقُ العينَ حسنُ جمالهِ ورونقهُ يشفي الصدورَ صدورُهُ
سما في سماء الكون فابتهج الملا برفعتهِ وازداد سرًّا سرورُهُ
ومن مجد بانيهِ تزايد بهجةً وقُلّد من درّ المعالي نحورُهُ
فلا زال فيهِ الفضلُ تسمو شموسهُ وتسمو على كل البدور بدورهُ
ودام بهِ سعدُ السعود مؤرخًا حمى العزّ بالمولى الجبرتيّ نورهُ (١١٩٣)

ومنهم الشيخ حسين بن عبد اللطيف العُمَري الشهير بابن عبد الهادي القادري

الدمشقي الخلوتي لهُ تآليف في تراجم اسلافهِ العاويين سمَّاهُ المواهب الاحسانيَّة في ترجمة الفاروق وذرّيتهِ بني عبد الهادي. توفّي سنة ١٢١٦ (١٨٠١)

وممَّن ساعدوا على النهوض الادبيّ في اوائل القرن التاسع عشر رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة الاجلّاء. فكان يسوس الطائفة المارونيَّة البطريرك يوسف التيان الذي كان تخرَّج في مدرسة الموارنة في رومية وبرَّز بين اقرانهِ في العلوم فلمَّا صار اليهِ تدبير امور الطائفة سعى بتنشيط المعارف بين رعيتهِ لاسيَّما الاكليريكيين. ومما عُني بهِ توجيه نظرهِ الى مدرسة عين ورقة التي كان انشأها خلفهُ البطريرك يوسف اسطفان فصارت هذه المدرسة بهمَّتهِ منارًا استضاءت بهِ الامَّة المارونيَّة في القرن التاسع عشر ومنها خرج العدد العديد من بطاركة واساقفة وكهنة وفضلاء كانوا فخرًا لوطنهم بعلومهم فضلًا عن برّهم وسوف يأتي عنهم الكلام. ولهذا البطريرك آثارٌ لا تزال تدلُّ على طول باعهِ في الآداب الكنسيَّة. توفّي في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠ وكان تنزَّل قبل ذلك بعشر سنوات

وكان الروم الكاثوليك خاضعين ايضًا لبطريرك يحبُّ العلوم ويهتمُّ بترقيتها بين طائفتهِ نريد البطريرك اغابيوس مطر وهو الذي انشأ مدرسة عين تراز لتهذيب ابناء ملتهِ في العلوم الاكليريكيَّة سنة ١٨١١ وقد اثبتنا في المشرق (٨:٨٠٥) الرسالة التي وجَّهها الى طائفتهِ في هذا الصدد

وكان السريان الكاثوليك في بدء القرن التاسع عشر فقدوا بطريركهم ميخائيل جروه الطيّب الذكر في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ (اطلب ترجمة حياتهِ في المشرق ٣:٩١٣) ولهُ الفضل في وضع اساس مدرسة الشرفة وفيها جمع مكتبة حسنة هي الى اليوم من اغنى مكاتب لبنان. ثم خلفهُ اغناطيوس بطرس جروه وكان متضلّعًا بالعلم وهو الذي عرَّب مختصر كتاب اللاهوت النظري والعملي لتوما دي شرم في مجلَّدين وكتب ترجمة عمّهِ ميخائيل جروه ولهُ مواعظ لا تزال مخطوطة (المشرق ٩:٦٩٧)

وكان يرعى الارمن الكاثوليك منذ ١٧٨٨ غريغوريوس الاوَّل وكان رجلًا عريقًا بالفضل والقداسة يعرف ما للعلوم من المنفعة لخلاص النفوس فلبلوغ هذه الغاية انشأ في لبنان لطائفتهِ مدرسة في بزمّار كانت بمثابة المدارس التي ذكرناها للطوائف الاخرى وهي لا تزال منذ مئة سنة موردًا يستقي منهُ المرشَّحون للكهنوت من الارمن الكاثوليك

وقد ساعدهُ في هذا العمل الخطير القس اندراوس شاشاتي فنظّم معهُ مدرسة بزمّار ورتّب قوانينها (اطلب المشرق ٩ : ٣٦٦)

وفي اوائل ذلك العصر عينه ازداد عدد الكلدان الكاثوليك في العراق على عهد البطريرك يوحنّان هرمزد. وقد اتاح الله لتلك الطائفة رجلًا غيورًا يُدعى جبرائيل دنبو كان من تجّار ماردين المعتبرين فانشأ في الجبال المجاورة للموصل قريبًا من القوش ديرًا جعلهُ كمقام للعيشة النسكيّة والعلوم معًا. وفيهِ تخرّج كثيرون من الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر بتقاهم وآثارهم العلميّة بين الكلدان

فترى ممّا سبق انَّ الله جعل في انحاء الشرق كخميرة بها اختمرت عقول أهل الاوطان فلم تزل تترقّى الى ان جرت في مضمار الآداب جري المذكيات السوابق (لهُ بقيّة)

الاسقفيّات المنوطة بكرسي صور

لحضرة الخوري كيرلس شارون الرومي الكاثوليكي

قد نشرنا في المشرق (٩ : ٣٠٦، ٤٠٩، ٦٢٠) قائمة مطارنة صور الملكيين فبقي علينا ان نلحق بهِ اسماء اساقفة الكرسيّ المنوطة بهذه المطرنيّة. اما جدول هذه الكراسيّ الاسقفيّة فقد نشرهُ العلّامة كلزر الالماني في المجلّة البوزنطيّة (١ عن مخطوط يرتقي الى النصف الثاني من القرن الحادي عشر وهو ادقّ واضبط ما يُعرف لبيان الكراسيّ التي تحت حكمها. ففي هذا الجدول قد ذُكر لرئيس اساقفة صور ثلاث عشر كرسيًّا اسقفيًا خاضعًا لهُ. لم يبقَ منها اليوم للروم الملكيين الكاثوليك سوى ثلاثة اسقفيّات وهي عكّا وصيداء وطرابلس فنذكرها مع اسماء الاساقفة الذين تولّوا ادارتها ونضيف اليها كرسيّ جبيل (Βίβλος) والبترون (Βοτρύς) اللّذين دبّرهما اساقفة ملكيّون مدّةً في الاعصار السالفة. اما الروم الارثدكس فانهم قد ألحقوا كرسيّ عكّا ببطركيّة القدس وجعلوا صاحبهُ مطرانًا منذ القرون الوسطى. وكذلك جعلوا كرسيّ طرابلس مطروبوليتيًا وضمّوا كرسي عكّار الى جبيل. اما صيداء فقد ضُمّت الى مطرانيّة صور

١) اطلب (H. Gelzer: *Byzantinische Zeitschrift*, I (1892), p. 247-251)

جدول اساقفة عكّا

عكّا من مدن فينيقية القديمة ولمّا استولى عليها الخراب في أيّام السلوقيين جدّد بناءها احد ملوك البطالسة فعُرفت باسمهِ ودعيت بطلمانيس (Ptolémaïs). وجاء في سفر اعمال الرسل (٢١: ٧) ذكر المؤمنين فيها ونزول القديس بولس للسلام عليهم. وفي ذلك دلالة على انّ كنيسة عكّا راقية الى اوّل النصرانيّة ولا نشكّ في انّ الرسل اقاموا لها اسقفًا يدبّرها

١ (كلاروس) اوّل من يذكرهُ التاريخ صريحًا كاسقف عكا هو كلاروس ورد اسمهُ بهذه الصفة في جملة اساقفة فلسطين وفينيقية الذين حضروا مجمعًا عقدهُ في اواخر القرن الثاني ثاوفيل رئيس اساقفة قيصريّة وفلسطين في أيّام البابا فكتور الاوّل (١٨٩—١٩٨) لتعريف عيد الفصح واليوم الذي يجب الاحتفال بهِ (١

٢ (اينياس) اسمهُ كاسقف عكّا معلّق على اعمال مجمع نيقية المسكوني(٢ سنة ٣٢٥ وهو ايضًا في جملة الموقعين على اعمال مجمع انطاكية.(٣ سنة ٣٤١

٣ (نكتاريوس) ورد اسم نكتاريوس اسقف عكا في ذيل اعمال المجمع القسطنطيني الاوّل. وقد تصحّف اسمهُ في بعض النسخ ودُعي نكتابوس (٤

٤ (انطيوخوس) كان هذا اسقفًا على عكا في عهد القديس يوحنّا فم الذهب وكان احد خصومهِ كما ذكر پلاديوس (٥ وكان خطيبًا ذا عارضةٍ وبلاغة توفي سنة ٤٠٨

٥ (هلّاديوس) حضر هذا مجمع افسوس سنة ٤٣١ ثمّ انفصل عن الآباء مع يوحنّا بطريرك انطاكية ومن تبعهُ من الشرقيين لينحازوا الى حزب نسطور فاستحقّ بذلك ان يُفصل عن كرسيّهِ ويُحرم (٦

٦ (بولس) كان في عداد الآباء الذين جمعهم بطريرك انطاكية دومنس

---

١) اطلب التاريخ الكنسي لاوسابيوس (ك ٥ ف ٢٥)

٢) اطلب اسماء الآباء الموقعين على اعمال نيقة (H. Gelzer: *Nomina Patrum nicæna*)

٣) اطلب مجموع اعمال المجامع لماني (Mansi, II, 693,1307)

٤) ماني (Mansi, III, 368)

٥) اطلب كتابهُ في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب (Migne, PP.GG., XLVII, 14)

٦) اطلب ماني (Mansi, III, 1399)

سنة ٤٤٨ ليحكموا في دعوى ايباس الرهاوي (١ . وقد وقَّع ايضاً على اعمال المجمع الخلقيدوني (٢ سنة ٤٥١م

٧ (يوحنّا) قد دوِّن يوحنّا اسقف عكا اسمهُ مع اساقفة آخرين في آخر الرسالة التي كتبها ايفانيوس رئيس اساقفة صور ضدَّ ساويروس الانطاكي المبتدع. وهذه الرسالة قرئت في الجلسة الخامسة من المجمع القسطنطيني (٣ الملتئم على عهد البطريرك منّاس سنة ٥٣٦

٨ (جرجس) وقَّع جرجس اسقف عكا على اعمال المجمع المسكوني القسطنطيني (٤ المنعقد في قسطنطينيَّة سنة ٥٥٠

وبعد جرجس هذا نجد في سلسلة اساقفة عكا خللاً عظيماً دام الى القرن السادس عشر. وحتى الآن لم يطلعنا التاريخ عن سبب الامر ولا غرو انَّ صروف الدهر وكوارث الحدثان هي التي اضطرَّت الى ذلك. وفي اثناء تلك المدَّة عاد الى عكا اسمها الفينيقي بعد ان كان غلب عليها اسم بطلمايس اليوناني وأُنيطت بعد الصليبيّين بكرسي اورشليم البطريركيّ مع ترقيتها الى مطرانيَّة بدلاً من قيصريَّة فلسطين التي كان استولى عليها الخراب (٥ ولعلَّ الآثار الكنسيَّة المكنونة في بطريركيَّة اورشليم والتواريخ التي سطَّرتها جمعيَّة القبر المقدَّس توقفنا على اسماء بعض مطارنة عكّا . اما الروم الكاثوليك فانَّهم لم يزالوا يعتبرون كرسيّ عكا في حيّز مطرانيَّة صور

٩ (سمعان) جاء ذكر سمعان اسقف عكا في المخطوط اليوناني الموسوم بعدد ١٢٤ في مكتبة القبر المقدَّس في القدس الشريف (٦ . وتاريخ هذا الكتاب القرن السادس عشر او السابع عشر ومنهُ يظهر انَّ سمعان المذكور عاش في ذلك العهد دون

---

١) مانسي (Mansi, VI, 496)

٢) مانسي (Ibid. VI, 570)

٣) مانسي (Ibid. VIII: 1081)

٤) مانسي (Ibid. IX, 179)

٥) ومع هذا نجد اسقفاً يُدعى كلينيكوس منسوباً الى كرسيّ قيصريَّة فلسطين من السنة ١٦٤٥ الى ١٦٥١ (اطلب قائمة مخطوطات بطريركيَّة اورشليم باليونانيَّة Papadopoulos-Kérameus: *Catalogue des Mss du Patr. de Jérusalem*. II, 649 et 728)

٦) اطلب القائمة المذكورة (Ibid. II, 204)

ان تتحقَّق سنة انتخابهِ او سنة وفاتهِ · ويؤخذ من المخطوط عينهِ انَّ الاسقف سمعان كان اصلهُ من انطاكية بيزيدية في الاناضول وكانت تدعى حينئذٍ سبارته (ἐκ κώμης Ἀντιο-χείας τῆς Πισιδίας (ἡ) τανῦν λέγεται Σπάρτα)

١٠ (يواصاف) عاش يواصاف زمناً طويلًا في اسقفيَّة عكا · واسمهُ يظهر مرَّة اولى في ذيل اعمال مجمع اورشليم المنعقد سنة ١٦٧٢ لدحض البدعة الكلوينيَّة على هذه الصورة : « الحقير يواصاف مطران بطلمانيس وصيدا (١ وكرسيّ قيصريَّة فلسطين الاوَّل (٢ » فكان اذن يواصاف متوليًا ادارة ثلاثة كراسي · وقد تكرَّر اسمهُ في مخطوط المكتبة المذكورة الموسوم بعدد ٣٠١ في تاريخ سنة ١٦٧٩ ففي آخرهِ ما تعريبهُ : « هذا البندكستاريون مع بقيَّة الكتب خاصَّة الحقير يواصاف مطران بطلمانيس (٣ » · وكأنَّهُ عاش الى نحو السنة ١٧٠٠ لانَّ بطريرك الاسكندريَّة جراسيوس پلاديوس وصموئيل قباسيلا مطران ليبية وضعا اذ ذاك قائمةً للكراسيّ الاسقفيَّة التي كانت للروم في ذلك العهد فذكرا كرسيّ عكا الخاضع لبطريركيَّة اورشليم ودعوا صاحبهُ يواصاف (٤

١١ (نوافيطوس) ورد اسمهُ في فرمان عالٍ أُعطي لـهُ في الاستانة سنة ١٧١٣ على عهد السلطان الغازي احمد الثالث · كما افاد پاپادوپولوس في مجموعة آثار بطريركيَّة القدس التي تولَّى نشرها (٥

١٢ (مكاريوس) خلف نوافيطوس في اسقفيَّة عكا · لكنَّهُ لم يطل زمانهُ في ادارتها لأنَّ پاپادوپولوس المذكور قد نشر اثرًا تاريخهُ ٢٤ كانون الثاني ١٧٢٢ مضمونهُ حكمٌ على مكاريوس اسقف عكَّا بان يُفصل عن كرسيهِ · ثمَّ ذكر اثرًا ثالثًا تاريخهُ

---

١) وردت هذه اللفظة على صورة مصحَّفة باليونانيَّة (Πολεισίδωνος)

٢) الكرسيّ الاوَّل (πρόεδρος) كان لهُ حقّ التقدُّم على بقيَّة الاسقفيَّات الخاضعة للكرسي المطروفوليتيّ ويقال لهُ ايضاً بروتوثرونوس (πρωτοθρόνος)

٣) اطلب قائمة مخطوطات القدس (المجلد ٣ ص ٤٣٧)

٤) وهذه القائمة نشرتها مجلَّة الجمعية التاريخية في اليونان (Bulletin (Δέλτιον) de la Société historique et ethnogr. de Grèce, IV, 489)

٥) في المجلد الرابع ص ٤٨٩ (Ἀνάλεκτα Ἱεροσολυμ. σταχυολογίας)

سنة ١٧٢٦ فيهِ حكمٌ عليهِ بان يقدّم حساباتهِ لكنهُ في تلك السنة كان على عكا اسقف آخر

١٣ (اثناسيوس) يُقرأ اسمهُ في آخر معجم عربيّ مصون في مكتبة القبر المقدّس يُقال هناك « لنَّ ناسخهُ اثناسيوس اسقف عكا سنة ١٧٢٣ في حاصبيًا » (١

١٤ (ناوفيطوس) روى لوكيان (Lequien) مؤلف كتاب الشرق المسيحيّ (Or. Chr. II,816) أنهُ كان يتولّى كرسيّ عكا في السنة التي كان يصنّف فيها كتابهُ وهي السنة ١٧٤٠. لكنَّنا في ريب من امرهِ ولعلَّ لوكيان لم يفرز بينهُ وبين ناوفيطوس المذكور آنفًا او يكون فُصل عن كرسيّهِ ثمَّ عاد اليهِ ثانيةً

١٥ (صوفرونيوس) ممّا نُشر منذ عهد قريب مجموع حجج وقرارات وغير ذلك متعلقة باحوال البطريركيّات الاسكندريّة والانطاكيّة والاورشليميّة وكرسي قبرس (٢ فمن جملتها منشور لكيرلّوس الخامس الحلبي بطريرك انطاكية وجّههُ الى اهل حلب وفيهِ انهُ ارسل اليهم صوفرونيوس اسقف عكا الشاميّ الاصل لمناقضة مكسيموس حكيم الذي كان ينشر بينهم التعاليم الكاثوليكيَّة. وتاريخ المنشور سنة ١٧٥٠ فيكون انتقالهُ الى كرسي حلب تلك السنة

١٦ (*) لمّا نُقل صوفرونيوس الى كرسيّ حلب سنة ١٧٥٠ تعيَّن لهُ خلفٌ لم نقف على اسمهِ وزمن تعيينهِ. كما أنّنا نجهل تاريخ اساقفة الروم الارثذكس على عكا منذ ذلك الوقت الى يومنا

١٧ (مكاريوس عجمي) كان اسمهُ ميخائيل واصلهُ من عيتا من بيت العجمي ثمَّ ترهَّب في دير المخلّص ونذر سنة ١٧٢٠ ورسمهُ كاهنًا المطران نعمة في بيروت سنة ١٧٢٢ ثم صار في سنة ١٧٢٤ اوّل رئيس عام لرهبانيَّة دير المخلّص وقد اقامهُ البطريرك الكاثوليكيّ كيرلّس طاناس مطرانًا على قلّاية دمشق سنة ١٧٥٢ ودعاهُ مكاريوس. الّا ان اعداءهُ لم يزالوا يضطهدونهُ حتى سقَّفهُ البطريرك المذكور على كرسيّ

---

١) ورد ذلك في وصف المخطوطات العربيَّة المصونة في بطريركيَّة اورشليم (Catalogue des Mss arabes par Kykylidès, n° 7, p. 9)

٢) الطلب (Délicanis : Pièces écclésiastiques se rapportant au Patriarchat d'Antioche (en grec). *Constantinople*, 1904, p. 195-200)

عكا ولا نعلم في ايّ سنة تكنْ ذلك جرى قبل سنة وفاة كيرلُس في ١٧٦٠ والمرجح انهُ وكل اليهِ ذلك نحو السنة ١٧٥٣ او ١٧٥٤ . وترى اسم هذا الاسقف معلّقًا على تقارير متعدّدة بخصوص انتخاب البطريرك مكسيموس حكيم سنة ١٧٦٠ . امّا وفاة مكاريوس فوقعت سنة ١٧٦٣ في دير المخلّص (١

١٨ (مكاريوس فاخوري) هو اخو اندراوس فاخوري رئيس اساقفة صور (المشرق ٩: ٤١٣) قال الخوري كيرلُس حدّاد انهُ درس في رومية. وكان نذر الرهبنة سنة ١٧٤٧ وارتسم كاهنًا سنة ١٧٦٠ . وفي سنة ١٧٦٣ سقّفهُ اخوهُ على كرسي عكا وكان اخوهُ من حزب اثناسيوس جوهر الذي أبطلت رومية بطريركيَّتهُ وحكمت لثاودوسيوس دهّان . فخضع اثناسيوس وحزبهُ للبطريرك القانونيّ وكان من جملتهم مكاريوس اسقف عكا (٢ ثمّ اعتزل الاشغال على ما روى الخوري كيرلس حدّاد وتوفي فجأةً ودُفن في دير المخلّص سنة ١٧٩٤ وقد وقّع سنة ١٧٩٠ على اعمال مجمع دير المخلص التي نشرناها (المشرق ٩: ١٠٩٨) وقد كتب هناك اسمهُ «مكاريوس اسقف عكّا» ولم يزد «سابقًا» وفي ذلك اشارة الى انهُ عاد الى ادارة ابرشيّتهِ بعد ان نُقل جرمانوس آدم الى كرسيّ حلب سنة ١٧٧٧

١٩ (جرمانوس آدم) كان هذا من كهنة حلب العلمانيين وكان درس في رومية. ففي كانون الاوَّل من سنة ١٧٧٤ سامهُ البطريرك ثاودوسيوس دهّان في دير مار انطونيوس القرقفة على عكّا . ولم يبقَ في مقامهِ الّا سنتين ونصف ثمّ نُقل الى كرسي مطارنة حلب في ١٥ نيسان وسنعود الى الكلام عنهُ

٢٠ (مكاريوس نحاس) هو غير مكاريوس فاخوري الذي سبق ذكرهُ وقلنا انهُ أُعيد الى كرسيهِ وتوفي سنة ١٧٩٤ . وقد ذكرهُ المطران غريغوريوس عطا في مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ١٨٦) ولم يذكر اسم اسرتهِ قال انهُ نذرَ في دير المخلص وسُقّف على عكّا سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٠٩ . وما يؤيد ذلك انهُ يوجد بين توقيعات

---

١) راجع مختصر تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين للمطران عطا ص ١٨٩ وتاريخ دير المخلّص للخوري كيرلُس حدّاد (ف ٢٣)

٢) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, V (1902), p. 86)

الاساقفة على اعمال مجمع زوق ميكائيل (١ سنة ١٧٩٧ وعلى اعمال مجمع القرقفة (٢ سنة ١٨٠٦ اسم اسقف يُدعى مكاريوس اسقف عكّا . ومن الغريب انَّ تاريخ الرهبانيَّة الحنّاويَّة الشويريَّة لم تفدنا عنهُ شيئاً لا في سنة ارتقائهِ الى كرسي عكا ولا في سنة وفاتهِ وكذلك الخوري كيرلُس حدّاد والخوري انطون بولاد لم يذكراهُ البتَّة في تاريخ رهبان دير المخلص مع حرصهما على جمع كلّ الفوائد المفيدة لتاريخ الاساقفة المخلصيين وقد أطلعنا على اسمهِ واسرتهِ ابراهيم عوره في تاريخ سليمان باشا وذكر انهُ بعد وفاتهِ حصل نزاع بين مرقس وجرجس اللذين كانا يطلبان الاسقفيَّة

٢١ (ثاودوسيوس حبيب) كان اسمهُ مرقس واصلهُ من شفا عمر فنذر الرهبنة سنة ١٧٨٥ ورُسم كاهناً سنة ١٧٩٥ ثمَّ سقَّفهُ البطريرك اغابيوس الثالث مطر على عكّا سنة ١٨٠٩ ودُعي ثاودوسيوس لكنَّهُ حصل بينهُ وبين اهل عكّا اختلاف فجاء عين تراز ونزل ضيفاً على السيّد مكسيموس مظلوم قبل بطريركيتهِ وتوفي في ١٧ تموز سنة ١٨٣٤ في دير مار الياس رشميّا ودُفن فيهِ

٢٢ (اكليمنضوس بحُّوث) ولد في شفا عمر سنة ١٧٩٧ وترهَّب سنة ١٨١٦ في دير المخلّص وارتسم كاهناً سنة ١٨٢٤ ثم رقّاهُ البطريرك مكسيموس مظلوم رغماً عن إبائهِ الى اسقفيَّة عكّا ودُعي اكليمنضوس وكانت رعيَّتهُ تحبُّهُ ولم يدع رعاياها الَّا مرغوماً لمَّا رُقي الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨٥٦ وتوفي في ٣١ حزيران ١٨٨٢

٢٣ (غريغوريوس يوسف سيُّور) وُلد في رشيد وقيل في الاسكندريَّة سنة ١٨٢٣ من أُسرة دمشقيَّة الاصل . ثمَّ ترهَّب في دير المخلص سنة ١٨٤٠ وأُرسل الى مدرسة القديس اثناسيوس في رومية ليتلقَّن فيها الدروس الكهنوتيَّة سنة ١٨٤٧ وارتسم كاهناً سنة ١٨٥٢ . وفي ١ تشرين الثاني سنة ١٨٥٦ سامهُ البطريرك اكليمنضوس بحُّوث ليخلفهُ على كرسيّ عكا فبقي مدبرًا لهُ الى السنة ٢٩ ايلول من ١٨٥٦ حيث خلف البطريرك اكليمنضوس بعد تنزّلهِ عن البطريركيَّة وحضر المجمع الواتيكاني . وكانت وفاتهُ في ١٣ تموز سنة ١٨٩٧

٢٤ (اغابيوس دوماني) وُلد في دير القمر في غرَّة كانون الثاني سنة ١٨١٢

---

١) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, V (1902), p. 265)

٢) طُبعت اعمال هذا المجمع في الشوير سنة ١٨١٠ وجاء الامر من رومية بالغائها

ونشأ في دمشق ثمَّ ترهَّب في دير المخلّص سنة ١٨٣٣ ثم سيم شمَّاساً سنة ١٨٣٥ وكاهناً سنة ١٨٣٧ . وكانت توليتهُ على كرسي عكا في ٤ كانون الأول سنة ١٨٦٤ وكان احد الاساقفة الذين حضروا المجمع الواتيكاني سنة ١٨٧٠ . توفي سنة ١٨٩٢

٢٥ (اثناسيوس صبَّاغ) وُلد في دمشق ثمَّ انتظم في الرهبانيَّة المخلصيَّة وتقلَّد سنتين رئاستها العامَّة . وفي ٢٩ نيسان سنة ١٨٩٤ وقع عليهِ الاختيار لكرسي عكا فقضى في ادارتهِ خمس سنوات بغيرة وتقوى . توفي في ٢ حزيران سنة ١٨٩٩

٢٦ (غريغوريوس حجَّار) هو الاسقف الحالي وُلد سيادتهُ في جون قريباً من صيداء في ٢٠ آذار سنة ١٨٧٥ ودُعي جبرائيل ثمَّ ترهَّب في دير المخلّص وسيم كاهناً سنة ١٨٩٨ . وفي ٢٥ آذار من السنة ١٩٠١ عهد اليهِ غبطة السيّد بطرس الجريجيري اسقفيَّة عكا ودُعي غريغوريوس . ولسيادتهِ مآثر حسنة في الرتبة التي تقلَّدها صانهُ الله زمناً طويلاً لخير رعيَّتهِ (لهُ بقيَّة)

الريباس

للدكتور حبيب افندي الدرعوني

من منَّا لم يحدث لهُ في ايام صباه ان نظر مشهداً رائعاً او عاين امراً غريباً فانطبع في مخيّلتهِ او سمع كلاماً او ترنَّم بأهزوجة فعلق ذلك في ذهنهِ ثم تجري الأيام وتمرّ السنون وتأتي الكهولة والكلام الذي سمعهُ الولد يدور على طرف لسانهِ والاهازيج التي أطربتهُ تطنُّ في آذانهِ بحيث يتغنَّى بها بلا تروٍّ على سبيل العادة

قد قضت علينا هذه السنَّة الطبيعيَّة كما قضت على غيرنا فاننا اذ كنَّا ذات يوم من ايام الصبا في بعلبك وكان يوم مهرجان فتكوَّف الناس حلقاتٍ واخذوا يتهادون ذات اليمين وذات الشمال ويضربون الارض بأقدامهم ضرباً موقعاً على انغام القصب وألحان الازجال فيرقصون الرقص المعروف « بالدبكة » فأعجبنا برشاقة الراقصين وطربنا لاغانيهم وقد علق في الذهن من ازجالهم هذه الابيات :

في ارض الحلّه يا عرق الريباسْ
تداوي العلّه من جوَّا الديماسْ

. ومذ ذلك العهد قرأنا وسمعنا وحفظنا ما كان من شأنهِ ان يطمس المحفوظات الاولى ويدرسها الّا ان هذين البيتين انطبعا في الحافظة اي انطباع وربّما زادا رسوخاً من ترددهما على اللسان بقوة العادة . ولما كنّا نعتقد انَّ الازجال كما الامثال والاشعار تترجم في الغالب عن حقائق مادية او معنوية او تشير الى وقائع تاريخية كشفها العيان وأيدها الاختبار لعامة الناس بدا لنا ان ندرس الريباس درساً علمياً ونسبر مبلغ الابيات السابقة من الصحة في خواص الريباس وفوائده . ومما زادنا رغبة في هذا البحث خلوّ المؤلفات العلاجية من وصفهِ وذكر منافعه . وقد دُهشنا من هذا التقصير فان النباتيين وصفوا كثيراً من النبات والحشائش التي دون الريباس فائدةً وأسهبوا في تعريف خصائصها وتحليل اركانها . وزد على ذلك ان للريباس حقاً علينا بالتعرف بهِ والجاهرة بحسناتهِ من حيث وطنيتهِ فهو سوريٌّ محض وقد أبى لهُ الّا سوريةَ لهُ منبتاً

فاخذنا من ثمَّ بالتنقيب والتجارب حتى اجتمع لدينا من المعلومات ما مكّننا في الرجوع اليها والاستناد عليها . وقد عرضنا نتيجة ابحاثنا سنة ١٩٠١ في المؤتمر الطبي الذي عُقد في المدرسة الطبيّة الافرنسيّة . ثم تابعناها من ذلك العهد مدوّنين المشاهدات تباعاً الى ان توفقنا حديثاً لتحليل اركان الريباس وعزل المبدأ الفعال فيهِ كما سنذكرهُ في حينهِ

﴿ تاريخه ﴾ قلنا ان الريباس نبات وطني لان مواطنهُ التي لوحظ فيها على الغالب هي الاقاليم السوريّة . وقد سُمّي ريباساً لان طعمهُ يشبه طعم عنب الثعلب المعروف بالريباس . وقد جاء في لسان العرب وتاج العروس ان هذا اللفظ دخيلٌ وان أصلهُ فارسي . وعندنا ان في الامر نظراً لانهُ يتحصّل مما وقفنا عليهِ من المؤلفات التي تذكر شيئاً عن الريباس ان منطقة منابتهِ محصورة في بلادنا فتكون هذه الدلالة الجغرافية برهاناً على القائلين بان اللفظ دخيل . فهذا ابن البيطار يقول ان الريباس يكثر وجودهُ في سوريّة وعلى الخصوص في الاماكن الشماليّة منها . ويشير البصري الى وجودهِ في الجبال الباردة والمغشاة بالثلوج اكثر منهُ في غيرها وشمس الدين الدمشقي في جغرافيّتهِ (وجه ١٩١) يلمّح الى ان الريباس نبات بريّ ينمو في منابت لبنان . ذلك جلُّ ما أتى بهِ اصحاب المؤلفات العربية مما وقفنا عليهِ في المكتبة الشرقيّة

اما المؤلفات الاوروبيَّة فمنها تاريخ الصليبيين لڤلكن(١ جاء فيهِ ما محصله ان في سنة ١٢٠٢ حصل زلزال هائل في نواحي لبنان باد فيهِ كثيرٌ من سكَّانه كانوا يلتقطون الريباس . وفي هذه السنين الاخيرة كان المسيو پردريزه (Perdrizet) احد المدرسين في كليَّة نانسي يبحث في تآليف المكتبة الوطنية في باريس عثر على رسالة للطبيب النباتي كرانجه (Granger) يصف فيها سياحته الى سوريَّة سنة ١٧٣٥ فنسخ منها المسيو پردريزه المذكور فقرةً وبعث بها الى حضرة الاب روترڤال اليسوعي مستوضحاً منهُ الخطَّة التي سار عليها كرانجه في سياحتهِ . ولمَّا كان حضرة الاب المذكور يعلم باشتغالنا في الريباس أطلعنا على هذه الفقرة فاذا فيها ما ترجمتهُ :

« لما لم يبقَ لي عملٌ في الجبل غادرت قرية فيتولي الواقعة في جوار جزّين قبلةً بغرب في ١٥ تشرين الاول سنة ١٧٣٥ قاصداً مدينة دمشق ولما كانت غايتي ان انظر بامّ عيني نبات الريباس يمَّمت دمشق عن طريق بعلبك لهذا القصد ولعلَّ كرانجه هذا هو الذي نشر سياحتهُ الى تدمر المُوري شابو في المجلَّة الاسيويَّة (٢

اذا غربلت كل هذه التعليلات التي جمعناها وفيها ذكر للريباس لا يتحصل منها شيء يُعوَّل عليهِ من وصفٍ لهذا النبات او كلامٍ عن فوائدهِ او اشارةٍ الى مفاعيلهِ . فادركنا من ثمَّ نداء الشاعر الزجلي في قولهِ :

في ارض الخلّة يا عرق الريباس
تداوي العلّة من جوّا الدمّاس

فكأني بهِ يتأسَّف من تفريخ الريباس في ارض مقفرة مجدبة فيحسب الامر اجحافاً بحق هذا النبات المهجور وهو لا يبالي من اعراض الناس عنهُ بل يداوي عللهم باصولهِ المدفونة في دياميسها . والغريب ان هذه الصفة الشعريَّة جاءت مصداقاً تاماً للنتائج التي قرَّرها لنا الاختبار بل كانت صفةً جامعة شاملة في موجز الكلام

﴿ وصفهُ النباتيّ ﴾ الريباس نبات من فصيلة متعددة الزوايا (polygonées) ينبت على الغالب في الجبال التي يغشاها الثلج مدَّةً من الزمن واكثر منابتها في جوار اليمّوني في ارض « خلّة » كما جاء في مطلع الزجل . وقد ذكر الاب لامنس وجود هذا

(١ Wilken: *Histoire des Croisades*, VI, 6, note 6

(٢ زينب ملكة تدمر: Journal Asiatique 1897, II p. 337; cf S. Ronzevalle (p. 78 du tirage à part).

النبات في عيناتا وقد لوحظ في موآب وفي مناطق لبنان العليا. وقد اخبرني شيخ من آل خازن انهُ عثر على الريباس في صرود كسروان

الريباس جذورٌ تشج في الارض موازيةً لسطحها وهي حيّة تتضخّم بمرور السنين وتكون هشّة ما دامت طريّة ويسيل منها عصارٌ راتينجي دَبِقٌ لكنهُ ينقطع اذا جفّت ويبست وعلى هذه الجذور ينبت ساقٌ او عدّة سوق في ثخن الابهام طولها من ١٥ الى ١٦ سنتيمترًا. وبدن هذا الساق مشحمٌ مفرطح عليهِ زئبرٌ خشن. اذا نُزعت قشورهُ وأُكل لبُّهُ استطعمت بحموضةٍ يمازجها يسير حلاوة لكنهُ لا ينفكّ في آخر مضغهِ من قبوضة ما. وعلى قاعدة هذه السوق او العساليج تفرخ اوراقٌ قائمة على رجيلاتٍ قلبية اوكلوية الشكل سميكة ودائرها مسنن اما قمّة الساق فتنتهي بشبه العنقود (panicules) وثمرهُ من نوع الحبوب المعروفة باسم (akênes) وهو احمر ذو لباب. قال ابن البيطار في وصفهِ (١٤٧:٢): الريباس كأضلاع السلق لهُ خشونة. وقال اسحاق بن عمران: الريباس بقلة ذو عساليج غضّة حمراء الى الخضرة ولها ورق كثير مدوَّر وطعم عساليجها حلو بحموضة

﴿ فعلهُ العلاجي ﴾ قلنا ان اضلاع الريباس حلوة حامضة لذيذة الطعم لذلك ترى المجاورين لمنابتهِ يأكلونها مغموسة بالسكَّر او بالملح كما روى المسيو كيز (Guys) عن اهل زحله وبعلبك. وهم يحضرون من لثا تلك العساليج شرابًا لذيذًا يتفاخرون بتقديمهِ للزائرين ولهُ شهرة بانهُ مرطّب والامهات يعالجنَ بهِ رضعانهنَّ فيما يعتريْنَ عنهُ بالحر. وقد جرَّبناهُ في اسهال الاطفال وخصوصًا الاخضر منهُ فلاح لنا ان فعلهُ يعادل فعل الحامض اللبني الموصوف لذاك المرض ولعلَّهُ يفوقهُ. وعلى ظننا ان نفعهُ ناتج من العفوصة الموجودة في الريباس. وبناء على هذا التعليل وصفناهُ في التهابات اللثة فوجدناهُ اكثر فائدة من لعوق البورات المألوف استعمالهُ في مثل هذه الحالات. على ان ذلك ليس مدار بحثنا لان الشراب معروفٌ عند العامّة وليس تحتهُ كبير امر. انما الغرض الذي نرمي اليهِ والخاصة التي سعينا بكشفها واختبارها انما هي خاصّةٌ كامنة في جذر الريباس نفسهِ وقد المع اليها الشاعر الزجلي وتلك الخاصة لها فعلٌ في الكبد بان تدرّ الصفراء وتزيل احتقان هذا العضو وتسهل لهُ القيام بوظيفتهِ. وقد لاح لنا ان العامل في ذلك عصارٌ راتينجي دَبِق موجود في ألياف الجذور والامر الذي يحملنا على الاعتقاد

بان الفعل لهذا العصار لا لغيرهِ تقصير النبات عن ادراك فعله اذا كان جافًا يابسًا وبعد ذلك بلوغه سنهُ اذا كان طريًا. ولما كان المقرر لدينا ان العصار ينضب بجفاف الجذور تحتم علينا الجزم بان الفعل للعصار (١

اول حادثة مرضية تبيّن لنا منها جليًا فعل الريباس في احد زملائنا أُصيب باحتقان كبدي سببهُ الحصى. وقد انفق ذلك الطبيب كل العلاجات الموصوفة لتلك العلّة كالزيت والكليسرين والقلويات ومُدرّات الصفراء بلا جدوى او كان ينال منها بعض النفع لكنهُ لم يزل مترعجًا كئيبًا فاقدًا لشهوة الطعام اما بعد استعمال اصول الريباس فقد فُرجت كربتهُ وزالت كآبتهُ وتنبّهت شهوتهُ فداوم التعالج بها حتى شفي تمامًا. وقد تعدَّدت من ثمَّ المشاهدات حتى جمعنا منها ما ينيف على الستين فنسّقناها وعارضنا بينها واستنتجنا مفاعيلها واعددناها سندًا لكلامنا على الريباس. ولما كان يتعذَّر علينا سردها مفصلًا نكتفي بالالماع الى نتائجها وقد ثبت لدينا ان اعظم خواصها إدرار الصفراء وتقوية المعدة وقد يكون نفعها عظيمًا في الانحباسات الكبديَّة ايًا كان سببها فتناهض التغذية العموميَّة على عملها. وهي فوائد يسهل على كل طبيب تحقيقها ومراقبتها لذلك دُهشنا من اهمال الفرماكوبيا درس هذا النبات حتى لم نجد لهُ ذكرًا فيها مع انها لم تَسهُ عن وصف كثير من الحشائش الخاملة النفع او تذكرها على الاقلّ. فلسنا ندري أهذا الاهمال من ندرة الريباس او من صعوبة استغلاله واستنباته. وكيف كان الحال فقبل ختام مقالتنا في ذلك المؤتمر استنهضنا همم علماء الصيدلية والنبات لدرس الريباس وتحليل اركانهِ وفصل مادته الفعَّالة ليكون لفن العلاج منها فائدة وافادة. فكان على أثر ذلك ان حضَّر الدكتور كيك استاذ الصيدلة في المكتب الطبي الافرنسي شرابًا سمَّاهُ شراب الريباس استخصَّهُ واستأثر بهِ. على ان شراب الريباس معروف في البلاد كما نوَّهنا بالامر والمنفعة المقصودة والغاية المطلوبة في هذه الرسالة انما هي في الجذور

١) وفي مفردات ابن البيطار ما يؤيد قولنا في منافع الريباس. قال: هو بارد يابس في الدرجة الثانية ويدلّ على ذلك حموضتهُ وقبضهُ ولذلك صار مقوّيًا للمعدة ودابغًا لها وقاطعًا للعطش والقيء. وربُّ الريباس صالح للخفقان والقيء والاسهال الكائن من الصفراء مقوٍّ للمعدة مُشهٍّ للطعام . . . وقال الرازي في المنصوري: هو مطفئ الصفراء والدم

وقد ارسلنا منها كمّيّة الى معملين كيماويين في اوربا لتحليلها. وفي رسالة تالية نبيّن تركيب الريباس كيماويًا وندلُّ على العنصر العامل في النتائج التي دوَّناها

خطبة وعظيَّة

للبطريرك ايليَّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي حليم

مقدّمــة

هذه مرَّة خامسة نعود الى خطب البطريرك النسطوريّ ابي حليم الذي ازهر في القرن الثاني عشر للمسيح (اطلب مجاني الادب ٤ : ٢٠٠) وخطبهُ كلُّها جليلة الالفاظ بليغة المعاني طُبع منها قسمٌ في مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل. الَّا انَّ منها قسمًا آخر لا يزال مخطوطًا نحلّي حينًا بعد آخر ببعض لآلئهِ جيد مجلّتنا. وهذه الخطبة التي نثبتها اليوم هي موعظةٌ وجدناها موافقة لأيام الصوم المبارك تصلح لتنبيه القلوب وحضّها على الإنابة الى الله بالتوبة الصادقة وقد نقلناها عن نسختين خطّيتين وجدنا الواحدة في بيت الوجيه بشاره افندي يارد والاخرى من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ل . ش

الحمد لله الذي اطلع في آفاق القلوب شمس اليقين. ورفع اغساق الذنوب عن نفوس المتّقين. وأجزل الحكَم السوابغ على عقول المحققين. وانزل النعم الدوامغ (١ على يوافيخ المنافقين. نحمدهُ على ما ابدى من غنائم الخيرات للمُقترين. وعلى ما أولى من جسائم الحسنات للمُعسرين

ايها المؤمنون قد نُشرت اعلام ملكوت السماء وانتم جانحون. وترتّبت المراتب اليمينية في اورشليم العلياء وانتم نازحون. واستُعدَّت لكم مظالُّ النور والبهاء وانتم جانحون. وتهيّأت لكم الولائم الروحانية في عالم الضياء وانتم عن سننها راحلون. وبملابس الانفة والتيه رافلون. فما الذي فتَّر الهمم وأقعدها عن مطالب الارباح. وما الذي أنام العزائم عن إعداد الدهن والمصباح (٢. وما الذي اغفلها عن زاد الطريق في المغدى والمراح. أهلْ يُنتظر بعد شروق ناموس المسيح ضياءٌ او يُرتقب صباح. فما لي ارى اضواء الامانة في مصابيح القلوب هامدة. وجذى (٣ العزائم المشبوبة بالنار

١) ويروى في نسخة: السوابغ

٢) تلميح الى العذارى الجاهلات اللواتي انطفأت مصابيحهنَّ في حفلة العرس (متّى ٢٥)

٣) ويروى: جزي وهو تصحيف

المسيحيَّة خامدةً . أجنوب الذنوب نسمت عليها فأطفأت أنوار مصابيحها . ام أرياح الآثام عصفت في أفق النفوس فأذهلتها عن طاعة مسيحها . ام الإهمال غرَّها فألهاها . ام كواذبُ الآمال سترت عن البصائر طرقات هُداها . حتى استصغرت عظائم الذنوب . واستحقرت كبائر الجرائم والعيوب . واستقادت الغفلة رقابَ القلوب . واركبتها في طلابِ الشهوات اسوأ طريق وأوعر أسلوب . ألا فنبهوا بذكر الموت قلوبكم النوائم . واغسلوا بسواجم العبرات أوضار الجرائم . وأودعوا خزائن القلوب خوفَ النقائم . واذكروا ما أُعدَّ للأثمة والخاطئين من الاهوال العظائم . قبل ان تهدم معاولُ الفناء مشيدَ فنائكم . وتُخمد سمائم العفاء نورَ ضيائكم . وتُغلق ايدي المنايا ابوابَ حوائكم . وتحتم انيابُ الحمام على قبوركم وارماسكم . هناك يُسمع لنيوب الخاطئين حريق . ويُرى لقلوب الاثمة حسرة وشهيق . ويُسدّ بين ابناء النور وابناء الظلام الطريق . ويَضمّ مَن ألقى عن عنقهِ ربقة الطاعات مهوى سحيق . يومَ تستنيرُ وجوه الصالحين بنور لواء المسيح . وتشرق بصائر المفلحين بضياء الايمان الصحيح . ويحوز (١ ذو البدرات الخمس يوم عرض الاعمال بالمتجر الربيح . ويفوز في العراص الملكوتية بالنعيم الابدي اربابُ المسعى النجيح . يومَ تتلظى المجرمون بالجذى النارية في اقعار الجحيم . وتملأ نأمةُ الغنيّ (٢ بالطلبة الطارقة اسماع ابرهيم . ويشّم فَلَحةُ الكرم المسمَّى ملكوت السماء وجنَّات النعيم . وتُشرع وصائد الملكوت تجاه اولي المجد الوسيم . ألا رحم الله امرءًا لَفتَ همَّتهُ عن الدنايا والحطام . وأضرم نار الندم في منابت الخطايا والاجرام . وقدَّم لنفسهِ قبل نقلتِهِ توبةً ماحية الاثام . واعدَّ في مشكاة قلبهِ مصباحًا يقطع بنورهِ مسافات الظلام . وجعلكم الله من الذين صفت منهم السرائر . وغُفرت لهم الآثام والجرائر . وحدَّقوا الى الحق باحداق البصائر . واستعدُّوا بصوالح الاعمال في المبادئ والمصائر . بشفاعة الاطهار القديسين . وصلوة الاخيار والمنتخبين . آمين

---

١) ويروى : ويحوز

٢) اشارة الى قصة الغنيّ ولعازر

ملاك الرحمة

بقلم الاب لويس فؤاد اليسوعي (تتمة)

مضى النهار بعد سفر فرنسيسكو والفتاة ايفون لا تنقطع عن الصلاة لاجله . فلمّا غابت الشمس عاد الفقراء الى دار والدها فاكتنفوها اكتناف الهالة بالقمر والكمّ بالزهر . وكنت ترى فيما بين الصفوف صاحب الفروة والزيّ الجافّ فلما تحقّقتهُ ايفون بعد اقترابها منهُ سألتهُ عن طول المدّة التي تغيّب فيها عن الحضور فاحتجّ عن طول الغيبة بمصاب مُني بهِ وذلك ان حجرًا كان سقط على رجلهِ فحطّمها . وكان قد عصب رجله بأطمار بالية وهو يتعارج في مشيه

فقالت لهُ ايفون وقد غلبت عليها الرحمة : وكم يلزمك من الزمن لقطع مسافة الطريق ما بين القصر ومقرّك ؟

— ساعتان ونصف سيدتي . . .

— ساعتان ونصف !

— نعم وناهيكِ سيدتي عما اشعر بهِ من الالم في قطع المسافة

لا غرو ان حديثًا كهذا لم يطرق آذان الفتاة الرحيمة دون ان يحرّك عواطفها ويستفزّ نخوتها فارادت ان تقري المسكين الجريح و . . . لكن وصيّة والدها بان تحذر من ادخال غريب في البيت مدّة سفره اوقفت رغبتها في عمل الخير وجعلتها في حيرة عظيمة . . . ما العمل ؟ . . . وبينما هي تتردّد بين عاملي الطاعة والرحمة خطر على بالها قول الرب : « تعالوا يا مباركي ابي لاني جعتُ فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريبًا فآويتموني . . . »

فقالت لصاحب الفروة : « اقضِ الليلة معنا في القصر وعند الصباح تعود الى قريتك كما سبق لك الامر »

صلّى القوم طالبين تحقيق اماني سيّد الدار والفوز بمن يضمرون لهُ الشر وقلبُ صاحب الفروة يفور غضبًا . ثم انصرفوا وسار هذا مع ايفون داخل القصر فاوصت بهِ خادمها ڤكتور الذي داخلهُ العجب من صنيع سيدته حيث خالفت وصية ابيها

— هدئ الجأش يا ڤكتور . لقد سبق لصاحب الفروة القيام عندنا ليلًا فاضحى منّا

وزد على ذلك ما هو عليهِ من سوء الحال وضعف القوى لقطع مسافة ساعتين ونصف تحت جنح الظلام

اجاب ڤكتور: أفاتكِ رعبُ والدك وما طرأ عليهِ من الهواجس ليلة اضفت هذا المسكين ؟

— اضغاث احلام يا ڤكتور . وهل أصابنا ضرٌ من جرَّاء ذلك ؟

فظلَّ الخادم ساكتاً ولم يرَ بدًّا من مطاوعة سيّدتهِ ثمَّ عاد الى صاحب الفروة وجعل يرحّب بهِ طوعاً لامر ايڤون . ثمَّ دار بينهما الحديث والمسكين يتأوّه من ألم جرحهِ حيناً بعد حين حتى رثّا لحالهِ ڤكتور وازالت رقّة قلبه للمسكين ما في فكرهِ من الريب بصددهِ . ثمَّ انبسط بالكلام واخبر الضيف بما كان من امر صاحب الدار وخروجهِ الى البلدة المجاورة لطلب الجند ليوقع باللص افوريجان وزمرتهِ على بغتة ويقطع دابرهم . وعرف الصعلوك في مطاوي الحديث انَّ القصر خالٍ من الحرس لم يبقَ فيهِ غير ثلاثة من الخدَّام لخروج الباقين مع فرنسيسكو في طريقهِ وكان صاحب الفروة يصغو وقلبهُ يرقص طرباً حتى غلب النعاس على ڤكتور فقام بعد ان هنَّأ ضيفهُ برغد النوم واطفأ القناديل . امَّا ايڤون فانّها كانت صرفت ساعةً في صلاتها ثم اوت الى فراشها مطمئنَّةً

وكان سواد الليل حالكاً . وهدأت في الدار كل حركة بعد خروج ڤكتور . وكان صاحب الفروة تمدَّد على فراشٍ أُعدَّ فكنت تحسبهُ راقدًا وهو في الحقيقة يقظان مشغول البال ينتظر نصف الليل بفروغ الصبر ليفتح باب المنزل لاخوتهِ المختبئين بين اشجار الغاب

دقَّت ساعة القصر فعرف الشقيُّ من دقَّاتها ان قد دنا الوقت فكان قلبهُ يخفق جزعاً . . . آه لم يبقَ لي الَّا ساعة لشفاء غليلي والانتصار على فرنسيسكو . . . سر يا فرنسيسكو على بركة الله . . . اما انا فسيري على هدى الشيطان وستعلم اعداء افوريجان ايَّ منقلبٍ سينقلبون

دقت ساعة القصر الدقَّة الثانية عشرة وكان لكل دقَّة رنين في صدر الخائن . . فقام يتجسّس الحيطان ويمشي في الظلمة لكنَّ منخاس الضمير اخذ بوكرهِ فصرخ : ما هذا ؟ . . . احس بفتور في اعضائي . . . لقد انهدَّت قواي . . . خاب مسعاي . . . آه

شبح ايڤون... اخونها وهي قد اضافتني واعتنت بي رغماً عن وصاة ابيها وتصدّي ڤكتور لها... ولكن كيف ارعوي وقد صار عدوّي مني على قاب قوسين فارجو منهُ غنيمة باردة؟ دع عنك هذه الوساوس. قد حانت ساعة الفوز ولات حين ندم

وبينما هو على تلك الحال اذ سمع صوتاً من جهة غرفة ڤكتور فرجع لساعتهِ الى فراشهِ وبعد هنيهة انفتح باب الغرفة وظهر ڤكتور وقد استولى عليهِ الخوف: اني اسمع يا صاح وقع اقدام حول الدار كأني بالاعداء. قد احاطونا يا للداهية الدهياء!

— انظر لعلّهُ فرنسيسكو قد عاد الى قصرهِ مع فرقة الجند

— كلّا ليس هو. فاني سمعتُ ضوضاء وجلبة قوم معادين

— دعنا نبحث عن حقيقة الامر ولا ترعج اهل القصر

فسار كلاهما في الدهليز الطويل المؤدي الى باب القصر. وڤكتور قابض بيد على السكين وبالاخرى على يد رفيقه

فقال الصعلوك: اعطني السكين واتركني افتح الباب. فان رأيتُ عدوًّا غرستها في احشائه

— لا لا اني انا الفاعل

— دعني يا صاح. لاهل القصر عليّ حقوق وحق الضيافة مقدَّس وهذه فرصة استغنمها لاظهار ما انطوى عليهِ صدري من عرفان الجميل نحوهم

قال واختطف السلاح من ايدي ڤكتور وما شعر الخادم بالامر الّا واحسَّ بطعنة في قلبهِ جندلتهُ على الارض مضرّجاً بدمائهِ فجعل يصرخ: اليَّ يا آل القصر لقد خاننا صاحب الفروة. فقام الخدم وتسارعوا الى الباب. اما الضيف الخائن فصاح الى زملائهِ: اليَّ يا آل الغاب لقد دقَّت ساعة الظفر

وفُتح باب المنزل واذا بشرذمة من الاوغاد والهمج دخلوا القصر فانقضُّوا على خدمة القصر وقد اخذ منهم الرعب مأخذه وتفرَّسوا فيهم ولا تفرُّس الذئاب بالنعاج. ثم استقر بهم الرأي ان يقبضوا على ايڤون دون ازعاجها فيبقونها معهم لسيرةً ليتوعَّدوا اباها بقتلها ان لم يُجب الى سؤلهم

اما ايڤون فانها عند سماعها بصريخ الخدَمة وصياح اصحاب افوريحان ووقوفها على حقيقة الامر اظهرت من ثبات القلب ما قلَّ وجودهُ في فتاة تناهز الثامنة عشرة

من العمر فجثت على ركبتيها امام صورة المصلوب المعلقة في محلّ نومها وبقيت مستمرة في صلاتها حتى فُتح عليها الباب فجأة ودخل عليها افوريجان يتبعهُ اصحابه

— كفاكِ صلاةً يا ايڤون فان الصلاة لم تُجدكِ نفعاً وها هنا يد صاحب الثروة قد نالت ما لم تنلهُ صلوات اولادك الفقراء وتضرعاتهم التي لم تلاق في السماء مجيباً

فاجاب احد اترابه : ليس المجال مجال خطاب او وعظ هيَّا بنا الى ما هو اهمّ والوقت قصير اين هو يا فتاة مخبأ ثروة والدك فرنسيسكو ؟

— هذا سرّ اوقفني عليهِ ابي ولا اضنُّ بهِ عليكم ولكن دعوني اوَّلًا أرحب بكم فاقدم لكم شراباً تروون بهِ غليلكم . فاذا استرحتم قليلًا اخذت بكم الى مخبأ المال على شرط ان لا تلحقوا بي اذًى

— كلَّا لا نريد لك سوءًا

— وان سمحتم رافقتكم الى مقامكم لاعيش بينكم

— هذا جلُّ ما نشتهيهِ يا ايڤون فانتِ منَّا وفينا

— فهلمَّ بنا نشرب معاً كأساً على سرّ هذا الاتحاد

فقوبل كلامها بتهليل فصرخوا الجميع : نعمَ الرأي رأيكِ

ثم قادتهم حول مائدة متَّسعة وما كان اسرع من لمح البصر الَّا وأعدّت الكاسات وسالت بنت العنقود فيها فجعل كل يرفع الكأس ويشربها على سرّ الاتحاد وايڤون تعيد الدور كلما فرغت الكاسات الى ان قام احدهم والاحمرار قد علا وجههِ واتقدت عيناه شراراً فقال : حذارِ حذارِ يا اخوان فانها لمكيدة أُعدت لنا . اين المال يا ايڤون ؟

— اتبعوني فهو لكم ان شئتم

فطفر الكل وهم يتناشدون الاناشيد ويتغنَّون بالاغاني وقد غلبت على اكثرهم سورة الخمرة ثمَّ تبعوا آثار ايڤون فانزلتهم الى قعر القصر حيث كان سربٌ عميق فيهِ النبيذ والمؤونة فقالت لهم : ترون في هذا السرب عدداً من البراميل والاكياس البعض منها موسوم بعلامة الصليب والبعض الآخر لا علامة لهُ فما كان منها معلماً فهو حاوٍ على اموال فرنسيسكو

فما انتهت من كلامها الَّا وترامى اللصوص على البراميل والاكياس يفحصونها برميلًا برميلًا وكيساً كيساً وايڤون تساعدهم مشجعة اياهم وهي تقول : ان صندوق

الذهب قد أُخفي في اقصى القبو. وما سمع افوريجان كلامها حتى انقضَّ كالعقاب طائرًا الى حيث اشارت ايڤون وفي يدهِ القنديل تاركًا اخوتهُ في الظلمة فقالت ايڤون: ها انا آتيكم بمصباح. قالت هذا واسرعت كلمح البصر فخرجت من السرب وكان لهُ باب من الحديد فأقفلتهُ قفلًا محكمًا

ثمَّ جعلت ايڤونُ تطوف في نواحي القصر آسفةً على ما حلَّ بخدَّامها الامناء. وقد اصبحوا جثثًا رميمة لا حياة لهم — فاذا بدبيب مع صوت وقع اقدام طرق اذان الفتاة فاضطربت خوف ان تكون اهمات تحكيم قفل باب السرب وخرج اللصوص فجثت على ركبتيها وهي ترتجف هلعًا وصرخت: الهي كن عوني »... فما كان اعظم اندهاشها لمَّا رأت اباها فرنسيسكو يأخذ بيدها ضامًّا أيَّاها الى صدرهِ: ابنتي! ابنتي!

— ابتي انت هنا؟

— نعم يا ايڤون لقد اخذ البلبال والقلق مني مأخذهما اثناء الطريق فكنت احاول الرجوع لأتحقق امركِ ورفقتي يسكّنون جأشي محرضين اياي على اتباع السير. فارسلت بهم اخيرًا الى الحاكم الايطالي وعرَّجت اليك مع ثلاثة من الحرس فقط. آه قلبي كان يحدثني انك في خطر وقلبي الابويّ لم يخدعني

— سكّن روعك ابتِ ان الاعداء في قيدنا

ثمَّ قصَّت عليهِ ما جرى

— ما اثبتكِ جأشًا واقواكِ جنانًا

— قل ما اعظم قوَّة صلوة اولادي الفقراء. ان صلوة الفقير لا يخيبها الله

☆

وبعد ايَّام قليلة كنتَ ترى في مدينة باهيا جمًّا غفيرًا قد اجتمع في ساحة المدينة ينظرون الى مخشَّب مرتفع فوقهُ مشانق عُلّق عليها عشرون من اللصوص وبازائهم علَمٌ قد كُتب فوقهُ: « هذا جزاء الاثمة الذين دخلوا ليلًا بيت فرنسيسكو فنجت ابنتهُ من مخاليبهم وما ذاك الَّا جزاء اعمالها الصالحة وتحننها على المساكين. هكذا يثيب الله ملاك الرحمة »

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

٣ موقع سوريَّة (تابع)

من اراد ان يدرك ما اكسب سوريَّة سابقًا حسن موقعها من المنافع الاقتصاديَّة حيث كانت الطريق الواصلة بين الشعوب يجب عليهِ ان يجرّد فكرهُ عمَّا لستفدناهُ اليوم من الاحوال الحاضرة وترقّي المواصلات البحريَّة التي اضحت في عهدنا الطريق اللاحبة التي تضمّ الامم العاملة الى بعضها كما صرَّح بذلك آخرًا جلالة الملك ليوبلد الثاني ملك بلجكة

إن اقرب الطريق وآمنها لتجارة الهند قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح انَّما كانت الطريق البريَّة على مسير وادي الفرات . اما في وقت الحروب فكثيرًا ما كانت تنسدّ هذه الطريق المثلى بين البحر المتوسّط وخليج العجم في وجه القفول التجاريَّة فتستبدلها بطريق اخرى كثيرة العقبات ذات اخطار جمَّة وهي طريق بحر القلزم او جزيرة العرب لكنَّ هذا البحر لم يتجاسر احد ان يتجشَّم اخطارهُ قبل أن يتوفَّق هيپالوس الى اكتشاف الرياح المنظَّمة التي تُعرف بالمواسم (١ وذلك في القرن الاوَّل للمسيح ومذ ذاك الحين فقط جرت بحرًا معاملات بين الهند وسواحل اليمن ومرافئ بحر القلزم

اما الطريق البريَّة التي كانت تقطع صحاري العرب هي التي اكسبت اهل الجزيرة غنًى وازدهارًا لا سيَّما السابئين والنبط والحميريين والقريشيين

والفضل كلّ الفضل للفينيقيين اذ سبقوا فادركوا ما للطريق البريَّة من عظم الشأن فانَّ ثروة الهند ومرافق الشرق الاقصى ما كانت لتجد سبيلًا اوفق تجري فيهِ لتبلغ الى مركز العالم المتمدّن . وادركوا فوق ذلك انهُ اجدى اليهم ربحًا لو استلموا تلك المحصولات الجليلة في محطَّاتها البعيدة ليخفّفوا بذلك عناء القوافل ويقتصروا بعض المراحل من طرقها الطويلة رغبةً في ضبط البضائع والتصرّف فيها قبل غيرهم . ومما فُطر عليهِ آل

١) هي رياح تتناوب من الغرب الى الشرق ستَّة اشهر ثم تُنعكس ستَّة اشهر اخرى . والمرجَّح انَّ الافرنج استعاروا لفظة « mousson » مَوسِم من العربيَّة بواسطة اللغات الايبريَّة . اطلب شروحنا في كتابنا « *Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe* »

فينيقية ارتياحهم الى الدلالة فانهم كانوا نعم السماسرة يتوسّطون بين الباعة والمشترين ولا يريدون بينهم وبين الباعة وسيطاً فتتضاعف بذلك ارباحهم اذ يشترون رخيصاً ويبيعون غالياً فعليهم المعوَّل في كلّ المعاملات التجاريّة لا يزاحمهم فيها احد ولا يقف المراقب على حقيقة متاجراتهم وبذلك اضحوا ارباب التجارة يدركون كنه اسرارها ولا يفوتهم شيء من وجوهها

وهذه المتاجرات عينهـا حدت بالفينيقيين الى تجهيز القوافل البرّيّة وقيادتها فنالوا بذلك قصبة السبق على من سواهم . لانّ الطرائق التجاريّة في سالف الازمـان كانت مباينة لطرائقها اليوم (١ فكانوا اذا ارادوا تصريف بضائعهم انتقلوا مع القوافل الى حيث يرومون بيعها فيدرسون كلّ بلد ويتعلّمون لغتهُ ويخالطون باهله ويفقهون عجرهُ وبجرهُ وكلّ ذلك لتتيسّر لهم المتاجرة وتزيد ارباحهم . وذلك على خلاف ما نرى اليوم بعد اكتشاف السكك الحديديّة والبواخر فانّ البضائع تصل الى طالبيها دون ان يحتاج البائع الى ان يرافقها

وكان تدبير القوافل الفينيقيّة يقتضي درايةً عظيمة وحذقاً بليغاً في المعاملات . وممّا كان يترتّب على رئيسها ان يُحسن نظامها ويؤلّف قلوب اصحابها ويجمع قواهم لنجاح المشروع كما انـهُ كان يسعى في طريقهِ بان يكسب ثقة الاهلين ويتقرب من امرائهم وينتهز الفُرص اللائقة لمبايعتهم ويتعرّف ما يروج عندهم من الاسواق . وخلاصة القول كان يتّخذ كلّ المعلومات اللازمة التي تزيد ثروتهُ وتوفّر ارباحهُ . وهكذا قد وصف لنا كتبـة العرب تجّار القريشيين في القرن السابع للميلاد (٢ وفي مقدّمتهم ابو سفيان الشهير . قال ابن الاثير في اسد الغابة في تعريف الصحابة (٥ : ٢١٦) : « كان (ابو سفيان) تاجرًا يجهّز التجّار بمالهِ ولموال قريش الى الشـام وغيرها من ارض العجم وكان يخرج احياناً بنفسهِ وكانت اليهِ راية الرؤساء التي تسمّى العقاب واذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس »

والافادات السابق وصفها التي نالها الفينيقيّون في رحلهم واسفارهم البرّيّة والبحريّة توسّلوا بهـا لترقية تجارتهم وصناعتهم وتوسيع نطاقهما فانهم بصائب نظرهم وتهافتهم

١) H. Winckler: *Keilinschriften*, p. 169

٢) اطلب كتاب العلّامة مرغوليوث (Margoliouth: *Mohammed* p. 1)

على الاعمال واحتكارهم للتجارة البرّية والبحريّة بلغوا في آخر الطور اليوناني الروماني مبلغًا راقيًا فكأني بهم جعلوا في زمانهم الطرق الجائزة في سوريّة الشماليّة وفي سوريّة الوسطى وفي بادية الشام نفسها بمثابة ترعة سويس في عهدنا . وكانت بور سعيدهم تدمر الّا انّ تدمر كانت وقتئذٍ ملكة الصحراء تميس في مبانيها الفاخرة ومحاسنها الساحرة ليست كبور سعيدنا التي هي عبارة عن مدينة مستحدثة لا يُرى فيها غير حوانيت الباعة ومكاتب الحسَبة ومقامات المتاجرين بل كانت تدمر مزدانة بالهيا كل تأخذ بالابصار اروقتها البديعة وتماثيلها المحكمة الصنع مما يخلب القلب ولا تجد له اثرًا في بور سعيد

فدعنا بعد هذا نمتّع النظر بحسن وضع سوريّة وبموقعها الجغرافي الفريد ونحن نجدها في مفرق الطرق التجاريّة التي كان يسلكها العالم القديم فانّها كانت قريبة من البرزخ الذي يصل آسية بافريقية بين وادي النيل ووادي الفرات وهناك كانت اعظم امم تلك الاعصار وارقاها في التمدُّن . وسوريّة في وسطها تبعد مسافة يوم عن تخوم مصر وتكاد تتّصل بمملكة اشور عند مجرى الفرات الغربيّ حيث يلتوي فيقترب من البحر . فانّ هذا النهر متاخم لسوريّة عند موقع قرقميش القديمة في المقام المُعدّ لقطع سكّة بغداد حيث لا يبعد عن البحر المتوسط في خطٍّ مستقيم اكثر من ١٥٠ الى ١٦٠ كيلومترًا . فما اسهل ما كان على الفينيقيين ان يتبطّنوا وادي الفرات فيتبعوا بطائحهُ الى ان يبلغوا خليج العجم المتّصل بها . وكانت ضفاف الفرات في تلك القرون حافلةً بالسكان متوفرة المدن التي لا تزال آثارها ظاهرةً الى يومنا . وقد شهد على عمران تلك الجهات احد جغرافيي اللاتين يُدعى پمپونيوس ميلا (Pomponius Mela, III, 12) حيث وصف غنى الامم التي تقطن شمالي سوريّة وقد نسب ثروتها « الى خصب مراكزها وكثرة انهارها التي تجري فيها السفن فتسهل بها المبادلات التجاريّة »

فترى من ثمَّ انَّ سوريّة كانت بموقعها العجيب اهلًا بان تصبح مركزًا لعلائق العالم القديم او قل بالحري انَّ الله جعلها رائدًا للتمدّن ووصلةً بين الامم العاديّة اي المصريين والكلدان والامم الوسطى من يونان ورومان اجداد عالمنا المستجدّ . ولو رقينا في بسلَّم الاعصار الى اوائل القرون المتوسّطة وجدنا اهل سوريّة يتأثرون اعقاب آبائهم فيتوسّطون بين الغرب واواسط آسية فهم الذين ادخلوا التمدُّن اليوناني في مدرستي نصيبين وجنديسابور كما أنهم جلبوا الى الغرب مرافق تلك البلاد

فمن كلّ ما سبق لا يبقى للقارئ ريب في انّ اهـل سوريّة بتفرُّغهم للمبايعات وبتنقُّلهم في انحاء البرّ والبحر كانوا الرباط الوثيق بين سواحل البحر المتوسط والبلاد النازحة عنهُ ومزجوا مزج الماء بالراح الشرق العتيق بالغرب المترعرع. نعم انهم كانوا قبل كلّ شيء يعملون لاغراضهم ومصالحهم الخصوصيَّة الّا انَّ عملهم هـذا كان يفيد الشعوب ايضاً فيعمّم ما لكلٍ منها من المحاصيل ويخرجها من عزلتها فينتفع كلّ شعب ممّا اصابهُ الآخر سواءٌ كان في المادّيات او في الامور العقليَّة والادبيَّة والدينيَّة. وفي هذا لعمري جلُّ الفائدة لا سيَّما في تلك الازمنة التي كانت الشعوب لا تعرف بعضها الّا في ساحات القتال. فالفينيقيون نقلوا الى الغرب تمدُّن واديَي النيل والفرات وعرَّفوا اهل تلك البلاد بمحصولات مصر وما بين النهرين واعمالهما الصناعيَّة بعد أن اخرجوها على هيئة جديدة توافق احوال الغربيين وتناسب حاجاتهم. ولعلَّهم اثاروا في قلوب تلك الشعوب الجديدة رغبةً في الترقي والنجاح ومهَّدوا الطريق للفنون والآداب بين اليونان الذين ما كانوا ليبلغوا ذروة الكمال في الفنون الجميلة لولا توسُّط الفينيقيين فانَّهُ من المقرَّر انَّ التمدُّن اليوناني لم ينشأ بغتةً على غير استعداد وبدون تمهيد وانَّما بُني على اساس سابق تقدَّمهُ نريد تمدُّن امم الشرق. وفضل الفينيقيين انهم كانوا حملةً لذلك الترقي القديم الى اليونان. فأغنوا الغرب بمحصولات الشرق وبمصنوعات الشام فانتبهت قرائح الغربيين الى مجاراتهم ومزاحمتهم في العمـل بعد ان اعملوا النظر في نحت التماثيل والدمى وفي حفر الحجارة الكريمة وفي صياغة الجواهر كما استلمها الفينيقيون من اهل مصر وبابل فزادوها تحسيناً. فهذه المصنوعات الفينيقيَّة كانت للغربيين كلقاح لاذهانهم وشحذ لافكارهم أدَّى بهم بعد قليل الى تلك العجائب الصناعيَّة التي تفرَّد بها اليونان بعد زمن. وان قيل انَّ الفينيقيين لم يطلبوا في ذلك غير الربح والمكسب فنجيب انَّ فائدتهم الخاصَّة لا تنفي الخِدَم التي ادَّوها لغيرهم. والخدمة خدمةٌ ولو طُلب منها منفعة (١ ولعلَّ الكتبة لم ينسبوها قبلًا للفينيقيين لزعمهم انَّ الفينيقيين كانوا تجاراً لا يهتمُّون بالفنون كالوف عادة التجار ولجهلهم تأثير الصناعة الشرقيَّة بالصناعة اليونانيَّة

وقد اراد الله ان يعظّم هذه الدعوة الشريفة التي خوَّلها للفينيقيين ليكونوا وسطاء ونقلةً للموادّ التجاريَّة وللامثلة الصناعيَّـة بان جعلهم سماسرة الافكار كما جعلهم

١) اطلب تاريخ التجارة (Speck : *Handelsgeschichte*, I, 414, 426)

مياسرة الاموال ليُعدّوا الشعوب الجديدة لقبول الآداب والعلوم. ومهما قلنا في إطرائهم فانّنا لن نبالغ وذلك ليس فقط لأنهم بلغوا بقوافلهم الى البلاد النازحة فوصلوا بين اطراف الاقطار واقاصي الاصقاع لكن ايضاً لانهم زوّدوا الشعوب بآلة عجيبة كانت اعظم عامل للتمدُّن نريد صناعة الكتابة وحروف الهجاء.

والحقّ يقال انّ اختراع الابجديّة قد اجدى للبشر نفعاً قد خلّف وراءه الاختراعات التي تتباهى بها اعصارنا كفنّ الطباعة واكتشاف فوائد البخار والكهرباء. لانّ بهذه الصناعة الكتابيّة انفتحت للمعارف البشريّة ابواب واسعة اذ بها نستطيع تدوين كلّ لغات العالم حتى قبل فهمها. بما جرى تقلُّب عظيم في احوال الشعوب لكنهُ تقلُّب هادئ سلميّ غايتهُ التحابّ وتقريب الامم من بعضها

يقول الفلاسفة انّ العادة طبيعة ثانية. يريدون انّ الانسان لا يتأثّر ممّا اعتاد نظرهُ وانتلفهُ بالتكرار فانّ العجائب الطبيعيّة التي نراها كلّ يوم تسقط من اعيننا. فكذا قلْ عن اختراع الابجديّة. قال الاب ديلاتر اليسوعي: «ليت شعري ايوجد شيء اعجب من اختراع الانسان لعشرين الى ثلاثين علامة يتمكّن بها على ان يترجم عن كلّ معاني قلبهِ وعواطف نفسهِ» وهذه الطريقة العجيبة في سذاجتها يعود الفضل في اختراعها وان شئت قلْ في نشرها الى الفينيقيين. فانّهم أبطلوا تلك الطرائق السابقة التي شاعت قبلهم بتوفير الصور الكتابيّة وتمثيل مقاطع الالفاظ ورسم اصوات الكلام التي كان يتيه فيها علماء مصر وبابل. فنابت بحروف الهجاء عن تلك المئات والالوف من العلامات حروف قليلة تؤدّي كل تمجيات اللسان في لغات معظم الشعوب القديمة والحديثة

وهنا ايضاً قد لعبت الجغرافيّة دوراً مهمّاً. قال لونرمان في تاريخ الشرق القديم (ج ١ ص ٤٤٨): «كان ينبغي للشعب المدعوّ لتنظيم الكتابة البشريّة وتكميلها ونشرها ان يكون شعباً تجاريّاً عاملاً لا يستغني عن مسك الدفاتر وضبط الحسابات التجاريّة ويكون مع هذا متاخماً لمصر موسوماً بسمة التمدّن المنتشر على ضفاف النيل». ولا نعرف في العالم القديم أمّة غير الأمّة الفينيقيّة كانت تقوم بهذه الشروط اذ كانوا بموقع بلادهم احقّ من سواهم بان يكونوا قوماً وسطاً متأهبين لنقل محصولات التجارة الى الاقطار البعيدة والسواحل النائية وهم مع ذلك مواصلون للاعمال مع مصر جارتهم

وقد نقل الفينيقيون الى البلاد السحيقة ليس فقط حروف الهجاء لتسهيل المعاملات بل كل مصنوعات بابل ومصر مع اعمال صناعتهم الوطنيَّة واضافوا الى ذلك ما نقلوه من الادوات المفيدة ومن الحيوانات الداجنة ومن احرار البقول. وقد وجد الأثريون في اقطار غربيَّة شتَّى ما كان اتى بهِ اليها الفينيقيُّون من المعادن وضروب الخشب والصمغ والانسجة والخزفيات وغير ذلك من المصنوعات التي اعدَّت للتمدُّن القبائل الغربيَّة المستوطنة للغابات. وقد جرى السوريون على هذه الطريقة في نقل اختراعات الشرق ومحصولات التمدُّن نحو الف سنة حتَّى اثَّر مثالهم في قلوب اولئك السكان فاخذوا ينهجون منهجهم ويتعقَّبون مدارجهم

قال بمپونيوس ميلا السابق ذكرهُ (ك ١ ف ٢): «ان الفينيقيين قوم جهابذة حذَّاق يحسنون آداب الحرب ويستفيدون من منافع السلم. هم الذين وضعوا حروف الهجاء فاستخدموها لاعمال شتَّى واخترعوا فنونًا عديدة وهم ايضًا الذين سبقوا الى خوض البحار وتقدَّموا الشعوب في الحروب البحريَّة»

جاء في كتاب حديث للعلَّامة ڤكتور بيرار دعاهُ «الفينيقيون والاوديساة» (V. Bérard: *Les Phéniciens et l'Odyssée*): انَّ جغرافيَّة منظومة اوميروس الاوديساة مبنيَّة غالبًا على المعلومات التي استفادها ذلك الشاعر المفلق من الفينيقيّين». ثم استشهد لتأييد قوله بالجغرافي سترابون حيث قال: انَّ الفينيقيين ارشدوهُ الى معرفة وصف البلدان (οἱ γὰρ Φοίνικες ἐδήλουν τοῦτο). وكتاب المسيو بيرار مشحون بالتفاصيل والادلَّة المثبتة لسيطرة الفينيقيين على البحار (اطلب المشرق ٩: ٢٣٤)

ولما اراد سنَّاحريب ملك اشور ان يجهّز لدولتهِ اسطولًا بحريًّا في الخليج العجمي لم يجد من يقوم بعملهِ غير الفينيقيين. قال في احدى كتاباتهِ: «قد اقمتُ في نينوى رجالًا من الحثيين (وكان الحثيون من سكان سوريَّة) أسرتهم قوسي فعمَّروا لي مراكب كبيرة على مثال بلادهم فجهَّزتُها بالملَّاحين الصوريين والصيدونيين الذين قبضتهم يدي»

وقد حفظ اهل فينيقية السيادة على البحار حتى في عهد اليونان بعد فتوحات الاسكندر الذي جرى على مثال سنَّاحريب في تجهيز المراكب. وقلَّما تجد في تواريخ اليونان كاتبًا يذكر سفينةً لا يكون ربَّانها سوريًّا او فينيقيًّا

*

هذا لاهل الشام فخرٌ آخر غير المفاخر السابقة فأنهم ليس فقط توسطوا بين الدول القديمة المتمدنة والامم التي منها اشتقت الشعوب المستحدثة لكنهم ايضاً نالوا امتيازاً آخر فدعاهم الله لتربية العالم الادبية والدينية فصاروا متوسطين بين الله والانسان ومن هذا القبيل كانوا هم السابقين لم يأخذوا الامر من سواهم. نعم انَّ التمدن البابلي والمصري كان بلغ في الصنائع والفنون مبلغاً عظيماً والفينيقيون استفادوا من ذلك وافادوا غيرهم لكنَّ الفراعنة وملوك اشور كانوا من حيث الآداب والاخلاق بعيدين عن الكمال لا يعرفون من العدل والرحمة غير اسمها فيستسلمون للجور ويعتبرون انفسهم بمثابة آلهة يتصرَّفون برعاياهم كيف شاؤوا لا يبالون بما ينتظرهم لدى الديّان من المسئولية عن اعمالهم. وان كان من بعدهم قد غلب على الشعوب التالية روح الدماثة واضحى التمدن الجديد مبنياً على العدل والمحبة فالفضل في ذلك الى المشترعين الصالحين والى الرسل القديسين والى الانبياء الابرار الذي نشأوا في سورية فلسطين وبالاخص الى ذاك الذي كان اكبر من المشترعين واشرف من الانبياء المسيح ابن الله

فانَّ لاهوت الخالق وصفاته العجيبة لم تظهر في مكان من الارض ظهورها في سورية فلسطين فلاح نور التوحيد فيها ومنها امتدَّ الى بقية الشعوب فادخلها في طور جديد من الترقي والفلاح. ولذلك ترى عيون الانسانية متجهة منذ الفي سنة الى تلك البلاد مهد الاديان الموحدة حيث جرت أحداث التوراة الخطيرة وتجلى الحق سبحانهُ لعباده فغيَّرت انوارهُ هيئة المجتمع الانساني

فقد اصاب من دعا سورية فلسطين ارضاً مقدسة. كيف لا وفيها حدثت اعجب العجائب وبها تنوط ذكرى اشرف الاعمال واعظم الرجال بحيث يصح القول عنها انهُ ليس فيها شبرٌ الّا وقد صلّى فيها نبي. ولو اعتبرتَ اخبار الانجيل الطاهر وحدها وجدت اربعة اخماسها قد جرت في الجليل وليست بلاد الجليل الّا قسماً من سورية متصلاً بفينيقية الجنوبية وطالما دخل الجليل في حيّزها وتبعها في حكمها ونظامها. ولو بحثت عن مواطن الرسل الحواريين لوقفت عليها في سواد عكا وصور وكان لهاتين المدينتين مراكز تجارية في كل ساحل فلسطين. وكما انَّ العهد القديم في سفر الملوك الرابع (١٧: ١٩) قد اتَّسع في اعمال ايليا النبي في تخوم صور كذلك يروي العهد الجديد آثار ابن الله في

سواحل فينيقية بين اهلها الكنعانيين · وزد على ذلك انَّ الكنائس المسيحيَّة الاولى قد نشأت في اواسط سوريَّة وشمالها وانَّ اسم النصارى شاع اوَّلًا في انطاكيَة وقد صارت تلك الكنائس كمثال حذا حذوهُ من اتى بعدها · وعليهِ يستحقُّ السوريون هنا ايضًا وبنوع أحرى ان يُدعَوا سماسرة الآداب ودعاة الدين فتقدَّموا على اليونان والرومان الذين مشوا على آثارهم في دعوة العالم الى المسيح (١ · قال مُنتَلَمبرت الخطيب الشهير في كتابهِ عن نسَّاك الغرب (Moines d'Occident, I, 142) « انَّ الدين كما عزَّة السلاح كما فخر الآداب كلّ ذلك قد جرى على سنَّة مقرَّرة راهنة وناموس ثابت فانتقل من الشرق الى الغرب · بدا التمدّن وبدت القوَّة من الشرق على مثال النور وكما ان النور لا يزال يزداد بهاء وحسنًا على قدر ما يتقرَّب من الغرب كذلك التمدّن والعزّ زادا في الغرب بعد ان ظهرا في الشرق »

فترى ما لسوريَّة من النصيب العظيم في ترقّي الشعوب فانها هي السابقة والفضل كما قيل للمتقدّم فيجوز لكل رجل ان يعتبر سوريَّة كوطنهِ الثاني لانَّ منها نال حياتهُ الادبيَّة ان لم ينل حياتهُ الزمنيَّة · ولهذا السبب لم تزل اوربَّة توجّه بالحاظها الى البلاد التي منها اخذت مصدر حياتها العقليَّة والادبيَّة وكان قدماء النصارى اذا صلّوا جعلوا الشرق قبلتهم فيوجّهون بابصارهم الى الاراضي المقدَّسة والى الجلجلة وقبر المسيح · وكان ضوء السحر يذكّرهم باسرار دينهم وكانوا يطلبون ان تُدار رؤوسهم الى الشرق في قبورهم لترتاح عظامهم الهامدة بتوجيهها الى منبع ايمانهم · هذا فضلًا عن الوف الالوف الذين لم يرغبوا في حياتهم الّا شيئًا واحدًا زيارة تلك الاماكن المقدَّسة التي شرَّفها ابن الله بحياتهِ وموتهِ فيتجشَّمون لذلك اعظم الاخطار ويقاسون اصناف الاتعاب بجلّ امانيهم وقصوى بغيتهم · قال أحد هؤلاء الزوَّار في القرن الخامس عشر ابرهارد اللحياني (Eberhard le Barbu) كنت بلاد ڤرتمبرغ : « انَّ ثلاثة اشياء لا يجوز الترغيب فيها ولا الردّ عنها وهي الزواج والحرب وزيارة الاراضي المقدَّسة فانَّها كلها ربَّما ابتدأت ابتداء حسنًا فتنتهي على غير المرغوب » وفي قولهِ هذا اشارة الى الصعوبات التي

١) اطلب كتاب هرنك A. Harnack: *Mission und Ausbreitung des Christentums* (409-410) وقد اثبت فيهِ اسماء البلدان التي نشأت فيها كنيسة مسيحيَّة منذ القرن الاوَّل للنصرانيَّة

كان يلقاها زوَّار ذلك الزمان . على ان هذه الانصاب والمخاطر لم تقوَ على ضبط جماهير الزوَّار الذين لم يزالوا منذ عهد قسطنطين الكبير يتواردون بلا انقطاع الى الاراضي المقدَّسة كما تشهد على ذلك اخبار رِحَلهم المتعدّدة التي دوَّنها في اسفار شاعت في كل جهات المعمور وبين كل طبقات الناس (له بقيَّة)

أثران لارسطو الفيلسوف في العربيَّة

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ العرب أُولعوا باعمال فلاسفة اليونان فانثالوا على تعريبها بنشاط غريب . لكنَّهم كانوا أولع وانشط في نقل تآليف ارسطو لعلمهم بانَّهُ رئيسهم وشيخهم والمتقدّم بينهم في كلّ فنون الفلسفة وكثير من هذه التعريبات قد اخذتهُ ايدي الضياع او لا يزال مكنوناً في خزائن المخطوطات اللهمَّ الّا ما استخرجهُ منها بعض أُولي الفضل من المستشرقين . وممَّا وقفنا عليهِ في مخطوطات رومية العظمى اثران جليلان نُسبا لسيّد الفلاسفة فنقلهما العرب الى لغتهم . وهذان الاثران وردا في كتاب وُسم بالعدد ٤٠٨ بين مخطوطات الڤاتيكان وهو مجموع فيهِ آثار ادبيَّة وفلسفيَّة نقلنا منهُ فصولًا حسنة في المشرق كوصيَّة افلاطون المعروفة بالذهبيَّة (٦٠٤:٤) ومقالتهِ في تأديب الاحداث (٦٧٧:٩) ورسالة الفارابيّ في السياسة (٦٤٨:٤) . وفي هذا المجموع عينهِ نسخة من كتاب الدرَّة اليتيمة لعبداللّه بن المقفَّع التي نشرها صاحب السعادة الامير شكيب ارسلان . وتاريخ هذه النسخة الڤاتيكانيَّة سنة ٩٢٨هـ (١٦٢٢م) . امَّا الأثران المنسوبان لارسطو فاوَّلهما عنوانهُ « وصيَّة ارسطاطاليس للاسكندر » والثاني « رسالة ارسطاطاليس الى الاسكندر في التدبير » وكلا الاثرين يحتوي الحكم الطيّبة والوصايا الحسنة المصيبة وتعريبهما بقلم قدماء النقلة ونرجّح انهما لحنين بن اسحاق الذي لهُ في هذا المجموع تعريبات غيرهما تصدَّرت باسمهِ فان قابلت بين انشائهما وانشاء تلك لا تجد فرقاً يُذكر . وممَّا يدلُّ على قدم تعريب هذين الاثرين انَّ صاحب الفهرست ابا الفرج المعروف بابن ابي يعقوب النديم قد ذكر (ج ١ ص ٢٤٧) اسطرًا من الاثر الثاني تجدها بحرفها في مجموعنا وفي ذلك دليل على انَّ هذا التعريب سبق السنة ٣٧٧ه التي فيها انجز ابن النديم تأليفهُ . اما صحَّة نسبة الاثرين الى أرسطو فاننا لا نبتُّ بها حكماً . ونحن نعلم انَّ آثارًا عديدة نُسبت زورًا لذلك الفيلسوف النطاسيّ وانما نوردهما لما يتضمَّنان من التعاليم الحكمية والاقاويل الادبيَّة التي يُسَرُّ بها طلبة الآثار القديمة ولعلَّهما من تأليف احد تلامذة ارسطو ان لم يكونا من تأليفهِ وعلى كلّ حال نفيد القرَّاء بانهما لم يوجدا في اليونانية في مجموع اعمال ارسطو الذي نشرهُ الطبَّاع الشهير فيرمان ديدو (Firmin Didot)

١ وصيَّة ارسطاطاليس للاسكندر

لمَّا اشتدَّت علَّة الملك فيلبُّوس وتقرَّر الامر للاسكندر ابنهِ قال : ليس الآمر

بالخير أسعدَ بهِ من المطيع لهُ ولا المعلّم اقلّ انتفاعاً بالعلم من المتعلّم ولا الناصح أولى بهِ من المنصوح لهُ بالمديح متى قُبل. وان الله تعالى ذكرهُ لم يرضَ لنفسهِ من الناس الّا بمثل ما رضي لهم بهِ منهُ فانّهُ امرهم بالترحّم ورحمهم وامرهم بالتصادق وصدقهم وامرهم بالجود وجاد عليهم وامرهم بالعفو وعفا عنهم فليس قابلًا منهم الّا مثل ما اعطاهم ولا آذنًا لهم في خلاف ما آتى اليهم فأعطِ مَن وُلّيت امرهُ من رأفتك ورحمتك وعفوك ما ترغب في مثلهِ موقنًا بأنّك ان أعطيت ذلك من نفسك أعطيتَهُ موفّرًا

واعلم انّـهُ لا شيء لك الّا ما نلتَ من جميل الذكر ورضوان الخالق وانك ان وثقتَ بـهِ وقاك شرَّ مَن دونه وان وثقت بغيرهِ لم تدفع عن نفسك ولم يدفع عنك دافعٌ. واعلم انك غير مستصلحٍ رعيّتك وانت فاسـدٌ ولا مرشدهم وانت غاوٍ ولا هاديهم وانت ضالّ فكيف يقدر الأعمى على ان يهدي والفقير على ان يُغني والذليل على ان يُعزّ. واعلم انهُ ما اصلحَ المستصلح غيره الّا بصلاح نفسه ولا أفسد المفسدُ سواه الّا بفساد نفسـهِ فان رغبت في اصلاح مَن وُلّيت فابدأ باصلاح نفسك وان اردت رفع العيوب عن غيرك فطهّر نفسكِ منها ولا يُرينّك رأيك انك اذا احسنتَ القول دون الفعل فقد ابلغت الى السامعين منك دون ان يُصدّق قولك فعالُك وتحقّق سريرتك علانيتُك

واعلم انك مطبوع على أخلاق مختلفة منها حسناتٌ ومنها سيئات فأعدى عدوّك سيئاتُ اخلاقك وأولى الاشياء بك حسناتُ اخلاقك فقابل بعض اخلاقك ببعض: غضبَك بحلمك وجهلَك بعلمك ونسيانَك وغفلتَك بذكرك ونظرك

واعلم انهُ ليس احدٌ اصلح للناس من أولي الامر اذا صلحوا ولا افسد لهم منهم اذا فسدوا وان الوالي من الرعيّة مكان الروح من الجسد الذي لا حيوة لـهُ الّا بها وبموضع الراس من سائر الاعضاء فانـهُ لا بقاء لها الّا معهُ فبالوالي مع فضل منزلتهِ من الحاجة الى اصلاح الرعيّة مثلُ ما بالرعية من الحاجة الى اصلاح الوالي وقوّة بعضهم زيادةٌ في قوة بعضٍ ووهنُ بعضهم سريعٌ في وهن بعضٍ. وبُعد الوالي من القدرة على اصلاح نفسهِ مع استفساد رعيّته كبعد الراس من البقاء مع هلاك سائر البدن غير انهُ اجدر باصلاح الرعية الصالحة من الرعية باصلاح الوالي الفاسد وافساد الوالي الصالح لفضل قوّتهِ عليها ووهن قوّتها عن قوّتهِ. وقد قال اوميرُ الشاعر: انّ الائمّة يُصلحون الموتمّين بفضل قوّتهم فاما الائمّة فلا يصلحهم موتمّ

واحذرك الحرص فأمّا ما هو مصلحك ومصلحٌ على يديك فالزهد يتمّ باليقين واليقين يحصل بالفكر فاذا فكّرت في الدنيا لم تجدها اهلًا لأن تُكرمها بهوان الآخرة لانّ الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وقد قال اوميرُ الشاعر: كلّ ضدّ مخالفٌ ضدَّهُ ولا خير في شيء يزول ويذهب. اتّهم اخلاقك السيّئة فانها اذا اتّصلت بها حاجاتها من الدنيا كانت كالحطب للنار وكالماء للسمك واذا عزلتَها عنك وحُلتَ بينهما وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عند فقدان الحطب فهلكتْ هلاك السمك عند فقدان الماء.

اذا طلبت الغنى فاطلبهُ بالقناعة فانّ من لَمْ تكن لهُ قناعة فليس المال مُعينهُ وان كثر وقال اوميروس: لا مال عند من ترك القناعة ولا خير في المرء اذا لم يكن قنعًا

واعلم انّ من علامة شغل الدنيا وكدر عيشها انّهُ لا يصلح منها جانب الّا بفساد آخر فلا سبيل لصاحبها الى عزّ الّا بتذلّل ولا الى استغناء الّا بافتقار. واعلم انّ الدنيا ربما أُصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين فان اصبتَ حاجتك منها وانت مخطئٌ وأدبرتْ عنك وانت مصيب فلا يستخفنّك ذلك الى معاودتها ومجانبة الصواب. لا تضنّن على الناس بما ترغب فيهِ ولا تأتِ اليهم بما تكره ان يؤتى اليك. قاتل هواك واقصر رغبتك واكفف شهوتك واحلل الحقد من قلبك وطهّر من الحسد نفسك واقبض اليك أملك فانّ الامل اذا بسطتَهُ أقسى قلبك وشغلك عن معادك ولكن ممّا تستعين بهِ على إطفاء الغضب علمُكَ بانّ الزلل لا يخلو منهُ احدٌ وبهِ وقع صاحبُك ولعلّ عدوًّا لك حملهُ على ذلك. فان اطعت هواك في اخيك الذي اتى على يديهِ الذنب اليك اشمتَ عدوّك بهِ فظاهرتَهُ على اخيك ومكّنتهُ من بغيتك. فما أحقّك يا اسكندر ان تغتاظ ممّن طاعتُك لهُ هلاكك ومعصيتُك له سلامتك وهو هواك

ولعلّك يا اسكندر ترى ان عقوبتك تنكيلٌ بهِ عن الذنب او زيادة في الادب فان هممتَ بذلك فاصدق نفسك وفتّش عن ضميرك وسريرتك دون ظاهرك وعلانيتك فانظر أجميلَ الذكر تريد ام شفاء الغيظ. فان كنت تريد الانتقام للغضب فان الغضب مرٌّ والمرّ لا يُجنى ثمرهُ حلوًا. وان كنت تريد بعقوبتك اياه اصلاحهُ لك ولنفسهِ وجميل الذكر وان تنزع ذلك الذنب فانك بالغٌ بالحرمان والوعيد والجفاء بعض ما يغنيك عن شدّة الصولة وعظيم العقوبة. ولا ينبغي ان تستعمل سيفك فيمن تكتفي منهُ بالحبس ولا تسرع بالحبس الى من تكتفي منهُ بالخوف والوعيد فانهُ بحسب أخلاق المذنبين

وتفاوتهـا يجب ان تكون العقوبة وان استوت الذنوب . واعلم أنك متى نلتَ مُظلمة وفرطتْ منك عقوبــة فانّ الذي آتيت الى نفسك من ذلك اشدّ من الذي آتيت الى المعاقَب اذ لم تكن عاقبتُه بحقٍ ولا الصلاح وحدهُ قصدتَ بها . فتأنَّ في امرك واجهد ان لا تبلي بسيفك وسوطك من كان بريئاً ولا يسلم منك من كان لا يصلح الّا عليهما

احذر الشهوات وليكن ما تستعين بهِ على كفّها عنك علمك بانهـا مذهلة لعقلك مهجنة لرأيك شائنة لعرضك شاغلة لك عن عظيم امرك لانهـا لعب واذا حضر اللعب غاب الجدّ ولا يقوم الدين والدنيا الّا بالجدّ . فان نازعتك نفسك في الشهوات واللّذات واللهو فانها قد نزعت بك الى شرّ منزلةٍ وادناها واخسّها واسقطها وان ارادت منك خلاف السنّة فغالبها اشدّ المغالبة وامتنع منها اشدّ الامتناع وليكن مرجعها منك الى الحق فانك متى تترك الحق فلست تتركهُ الّا الى الباطل ومهما تترك الصواب فانما تتركه الى الخطإ فلا تداهن نفسك في الهوى اليسير فتطمع منك في الكثير ولا يرحبنَّ ذرعك بمفارقة صغيرٍ من الخطأ فان لكل عمل ضرُّهُ . ومتى تعوّدتَ نفسك القليل تَتُدك الى الكثير . لا تبطـل عمرًا لك في غير حقٍ ولا تصنع لك مالًا في غير واجبٍ ولا تصرف لك قوة في غير غناء . ولا تعدل رأيك في غير رشدٍ وعليك بالحفظ لما أُوتيتَ من ذلك بالجدّ فيهِ وخاصةً العُمر الذي كل شيء مستفادٌ سواه

فان كان لا بدّ لك ان تشغل نفسـك بلذّة فلتكن في محادثة العلماء وكتب الحكمة والفلسفة فانّ أيسر سرورك بالشهوات ليس بالغًا مبلغًا الّا وإكبابك على ذلك ونظرك فيــهِ بالغٌ منك غير انّ ذلك يجمع لك من السرور وتمام السعادة . وخلافُهُ يجمع لك عاجل العزّ ووخامة العاقبة وان اسعد الناس بهواه ادركهم للرشد منــهُ . واياك والفخر لعلمك بالذي منهُ كنت ومعرفتك بالذي اليــهِ تصير ولا سبيل ان كنت ذا نظر مع حلمك في البطر وكونك مما كنت وتركّبك من الاشياء التي شأن كل مركّب منهـا الانحلال والانتقال من حالٍ الى حال المثوى الذي تصير اليهِ حتى تكون بعـد الوجود منقودًا وبعد النمو منحلًا الى العثور والفخر اذا كانا عنك زائلين

واياك والكذب فان الكذب لا يكون الّا من مهانة النفس ومخافة الراي وجهالة بعواقب الامور ومضرّة الكذب على صاحبهِ . واعلم ان اقلّ منزلة الكذاب والانحياز

عن قصده بمنزلة من اراد الشرق فتوجّه الى الغرب. وقد قال اوميرس : ليس شيء ادنى منزلةً من الكذب ولا خير في المرء الكذاب

واعلم ان سرعة ائتلاف قلوب الابرار حين يلتقون كسرعة اختلاط ماء المطر بالبحار. وبُعد الفَجَرة من الائتلاف وان طالت معاشرتهم كبُعد البهائم من التعاطف وان طال اعتلافها. واعلم ان بصلاح الأعوان والوزراء يكون صلاح المال فكن بصلاح المال معتمدًا على صلاح الاعوان والوزراء. وكن ذا عناية بهم واكتفِ بقليل منهم عن كثير ممّن لا صلاح عندهُ فان الجوهرة خفيفة المحمل ثقيلة الثمن والحجارة فادحة لحاملها مع قلّة غنائها ونزارة ثمنها. ثم اجتهد في ابتغاء صالح العمّال فانّ العامل من الملك بمنزلة السلاح من المقاتل فاذا قعد بالوالي عمّال الصدق فقد نزل بهِ ما ينزل بالمقاتل اذا بقي بلا سلاح. وليكن راس ما تعمل بهِ ان تعلم الناس انّ معروفك لا يصل اليهِ الّا بمعونتك على الحق وتوطن اهل الباطل ومن يفسد خوفهم منك على العقوبة الفادحة فان بذلك تقوم ملكًا وتُعدّ حكيمًا

وبعد فاني لست آمن عليك الزلل في الامور بعد الاجتهاد وليس يثبت العذر الّا بعد الاجتهاد في درك الصواب فاذا اشتبكت بك الامور وعميت عليك فليكن مفزعك فيها الى العلماء فانّ ادنى غايات العمل الذي يصلح عليهِ امر الوالي ان يكون عندهُ من الراي ما يعلم بهِ فضل العالم على الجاهل وفضل خطر المُزنة اذا وردت عليهِ. وقد قال افلاطن : من ميّز عقول العقلاء استبان الامور مثل ما يستبان من المصابيح في ظلمة الليل. ولعلّ رأيك يؤدّيك الى ان بعض الناس يزدريك لاقتباسك منهم او يستخفّ بك عندهم فان عرض هذا بقلبك فاطّرحهُ اشدّ اطّراح. فان الذي تسعد بهِ من الامور بالعلم وتفوز بهِ من مخالفة اهل الجهل افضل لك نفعًا واعظم خطرًا من ان يعادلهُ شيء سواه. مع ان الناس فيك رجلان عالمٌ يزيدك عنده طلب العلم فضلًا وجاهلٌ لا يُرغَب في موافقتهِ. واعلم انّهُ ليس احد يخلو من عيبٍ وفضيلة فلا يمنعنّك عيب رجل عن الاستعانة بهِ فيما عندهُ منفعة فيهِ ولا تحملنك فضيلة رجل على الاستعانة بهِ فيما لا معونة عندهُ عليهِ

واعلم ان وجود اعوان السوء اضرّ عليك من فقد اعوان الصدق واعلم ان العدل ميزان الله عزّ وجلّ في ارضهِ وبهِ يؤخذ للضعيف من القويّ وللمحقّ من المبطل فمن ازال

ميزان الله عزَّ وجلَّ عمَّا وضعهُ بين عبادهِ جهلَ اعظم الجهالة واعزَّ اشدّ الاعزاز واغترَّ بالله اشد الاغترار. واستعنْ على امورك بخلّتين احداهما تألُّف الاهواء والاخرى التثبت في الامور. واياك التأخير لامورك والتواني عنها فيما يحدث منها فانك ان فعلت ذلك كثرت عليك ثم لا تجد زمانًا لمباشرتها ابدًا او يفدحك ان وكلتها الى غيرك وتضيع . وانما الامور كلها امران صغير لا ينبغي ان تباشرهُ وكبير ينبغي ان تكِلهُ الى غيرك. ومتى باشرت صغار الامور شغلتك عن كبائرها وان وكلت كبارها الى غيرك اضعتَ اكثر مما حفظت وافسدت اكثر مما أصلحت. وأسأل الله عزَّ وجلَّ الذي اختار العدل لنفسهِ وامر بالقيام عليهِ واستعماله في خلقه ان يُلهمك اياه ويجعلك من اهلهِ والقوام بهِ في عبادهِ وبلادهِ

(لهُ بقيّة)

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ (تابع)

للاديب اميل افندي خاشو مهندس لبنان سابقًا

٢ً سقي الاراضي

وعندنا انهُ لأفضل ان يصرف اللبنانيون همّتهم الى ما هو اجدى نفعًا من الطرق نريد سقي الاملاك وجلب المياه. ومعلوم انَّ سوريَّة فقيرة بمياهها والمياه كلها تسيل من مشارفها المتوسّطة اعني من لبنان. فهذا الجبل وحدهُ يسقي البلاد من انطاكية شمالًا الى غزَّة وبحيرة لوط جنوبًا اذ منهُ تخرج ينابيع العاصي الجاري الى الشمال ومياه الليطاني والاردنّ السائلَين الى الجنوب فيبقى هو محرومًا من المياه ويفتقر باغناء غيرهِ

ومن رصد احوال الجوّ في لبنان تحقَّق لنَّ الامطار فيهِ غزيرة وهي تهطل في هذا الجبل على غير ناموسها في بلاد اخرى فانَّها اكثر في مشارفهِ منهـا في اسافلهِ وفي السواحل. ولو سار الراحل من بيروت الى صيداء لأخذهُ الاندهاش من قلّة الماء على مدى طريق الساحل. ومن ثمَّ ترى ما يترتّب على تنظيم الريّ وجلب المياه في جهات الجبل من الفوائد الجمّة. والامر قريب المنال فانَّ السقي في السهول لا يتمّ في الغالب الّا بخزن المياه ودفعها الى الجهات المرتفعة امَّا الجبل فيكفي اهلهُ ان يفتحوا للماء

منفذًا او قناة يسيل فيه فيسقي المزدرعات دون ان يتكلّفوا شيئًا من المصاريف للمضخّات (الطلمبات) ولاعمال أُخرى يوميّة كثيرة النفقات

وهاك مثلًا نورده مصداقًا لقولنا . ترى في جوار نهر الدامور بقعةً يدعونها ساحل الدامور او جلّ الدامور مساحتها تبلغ ٥١٠ هكتارات اعني الف فدّان . وتربة هذا الساحل كلّها من جرف النهر ألقى بها عند مصبهِ في البحر . وكان هذا الساحل قبل ٢٥ سنةً سباخًا لم يُحرث ولم يُعمر . ففكّر احد كهنة بلدة الدامور ان يُخصب تلك البقعة بجرّ مياه النهر اليها فاتّفق مع بعض اصحاب الملك بان يبنوا قناة طولها خمسة كيلومترات يجلبون بها المياه لسقي تلك الاراضي الغامرة وخصّ بهذا المشروع رأس مالهِ البالغ من الفي ليرة الى ٣٠٠٠ ليرة . فشيّد القناة تشييدًا حسنًا كلّفهُ المتر منها عشرة فرنكات . فما لبث الملّاكون أن رأوا بالعيان هذا العمل المفيد فساعدوا الكاهن بمالهم حتى انجزوا القناة وجرّوا المياه الى الأملاك فعمرت تلك البقعة بعد قليل وصار الفدّان منها يباع اليوم بمعدّل ١٥٠ ليرة بعد أن كان ثمنهُ لا يتجاوز ٥٠٠ قرش . وكان جلّ الدامور لا يغلّ سوى بضعة آلاف من القروش واليوم يربح اهلهُ من موسم القزّ ربحًا طائلًا يُقدَّر بخمسين الف الى ستين الف ليرة . فهذا دليل قاطع على فائدة المياه لسقي اراضي لبنان ويا ليت غيرهم من اهل الجبل اقتفوا بهذا المثل الصالح بدلًا من ان يتزاحموا في فتح الطرق غير النافعة كطريق عين عار الى قرنة الحمراء او الى بيت شباب (١

ولعلّ القارئ يسألني وهل يوجد في لبنان املاك غير الدامور يمكن تحسين ريّها على مثالها . الجواب حاضر فدعنا نستقري انهار الساحل نهرًا بعد نهر مباشرةً بشمال لبنان

١ (نهر قديشا او نهر ابي علي) طول هذا النهر ٤٠ كيلومترًا فيمكن الانتفاع بمياههِ لري ناحيتي الكورة والزاوية على مسافة الف هكتار او الفي فدّان . وكمّيّة هذا النهر في اوّل الخريف تبلغ ٣٠,٠٠٠ متر مكعّب في ٢٤ ساعة . وهذا المشروع سهل وهو يحتاج الى قناة يكون طولها ثمانية كيلومترات

---

١) وان قابلت بين هذه بقعة الدامور واجود اراضي مصر غلّةً وجدت انّ ارباح الاولى اعظم من الثانية بكثير . فانّ غلّة الف فدان في ساحل الدامور تساوي كما قلنا على الاقل ٥٠,٠٠٠ ليرة اعني ٥٠ ليرة لكل فدّان واجود اراضي مصر لا يغل فدّانها باكثر من ٣٥ ليرة

٢ (نهر الجوز) طولهُ ٢٥ كيلومترًا يسهل على اهل البترون ان ينتفعوا بمياههِ الطيّبة سواء كان لشربهم او لسقي املاكهم. وهذا النهر تقلُّ مياههُ وتكاد تنضب في الصيف الَّا انهُ يمكن ان يُتَّخذ لهُ سدّ فتُخزن المياه في حوض. ثمَّ تُسقى بها الاملاك. وينبغي لهذا السدّ ان يُبنى على علوّ ثمانية او عشرة امتار فيجمع ٣٠,٠٠٠ متر مكعَّب من المياه للريّ الصيفيّ. وهذا المشروع غاية في الافادة ندعو اصحاب الامر الى التبصُّر فيهِ ولا نشكّ انهُ سينتج عنهُ ارباح جمَّة للبترون

٣ (نهر ابراهيم) الريّ بهذا النهر من المشروعات العظيمة الجدوى. وكانت الدولة العليَّة منحت امتيازًا لاحد اعيان بيروت المرحوم ع. خضرا وشركائهِ بان يقيم سدًّا ويضيف اليهِ غير ذلك من البنايات فيحبس مياه هذا النهر ويسقي بهِ الاملاك الواقعة بين جونية وجبيل ومساحتها تبلغ ٦٠٠ هكتار او ١٥٠٠ فدان. لكنَّ هذا المشروع حتى اليوم لم يخرج الى عالم الوجود إمَّا لسبب وفاة بعض اصحاب الامتياز وامَّا لتردّد الباقين في العمل. ولعلَّهم يخافون من سقوط حقوقهم لأنَّ مدَّة الامتياز كانت لخمس عشرة سنة واليوم قد انتهت هذه المدَّة فبطل الامتياز الشاهاني. ونحن نرغب أن يسعى الشركاء في تجديد امتيازهم او ان يطلب غيرهم امتيازًا لهذا العمل الخطير الذي تترتَّب عليهِ اكبر الفوائد واعظم الارباح لاسيَّما انَّ تربة تلك الجهات طيّبة كثيرة الريع لا ينقصها الَّا الماء لسقيها. ومن احبَّ ان يعرف صدق قولنا فليذهب الى حالات وينظر ما نالهُ هناك سيادة المطران يوسف اسطفان بسقي املاكهِ فانهُ اتَّخذ لهذه الغاية محرّكًا من البترول قوَّتهُ عشرة افراس بخاريَّة ليدير ناعورةً تبلغ الى عشرة امتار في عمق الارض (١

وعلى كلّ حال لا يجوز ان تترك سدًى مياه نهر ابراهيم فتضيع في البحر دون طائل مع كونها كافية لخصب املاك واسعة وكميَّتها تبلغ في ٢٤ ساعة مقدار ١٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب في فصل الصيف. ويكفي لرفع سطح هذه المياه الى علوّ خمسة امتار فقط لسقي الفي فدان من الاملاك وإحيائها بالمياه النميرة. والذين طلبوا امتياز هذا المشروع كانوا يقدّرون نفقاته بستين الف ليرة وسنذكر قريبًا كيف يمكن جمع هذا المال.

١) وفي الساحل بين بيروت وصيداء قد باشر رجال من اصحاب الهمَّة بتجهيز ادوات بخاريَّة كهذا المحرّك فنجحت مساعيهم فعسى امثال لبنان الجنوبي تؤثر في جهات الشمال ايضًا

وعندنا انَّ هذه النفقات يُستطاع خفضها الى حدّ اربعين الف ليرة بل الى ثلاثين الفًا بعض التحويرات في المشروع الاوَّل

٤ (ينابيع نهري اللبن والعسل) يظنُّ الناس غالبًا انَّ مياه ينبوعي اللبن والعسل تصبُّ في نهر الكلب وليس الامر كذلك فانها تغيض وتنضب بعد انبجاسها بقليل. فلو عُني اهل كسروان بجلب هذه المياه من مركزها الى جهات جونية والقرى المجاورة لاستفاد الساحل منها مع قلّة المياه فيهِ. وكميَّة هذه المياه بالغةٌ كما يُظنّ في ٢٤ ساعة الى حدّ ٢٥٠٠٠ متر مكعَّب تقريبًا. ويقتضي لجرّ هذه المياه قناة طولها ٤٠ كيلومترًا. وكان بعض المهندسين عرضوا هذا المشروع على بعض المتموّلين الذين طلبوا امتيازًا لذلك ثمَّ أهمل الطالبون مطلوبهم حتى اجتمعتُ بهم وبيَّنت لهم ما ينجم عن هذا المشروع من المنافع فأخذوا اليوم يسعون بالامر ثانيةً ولعلَّهم يباشرون بهِ قريبًا

٥ (نهر الكلب) لستُ اطيل الكلام في هذا النهر فانَّ قسمًا كبيرًا من مياههِ تنتفع بهِ بيروت لشرب اهلها. وقسم آخر منهُ تُسقى بهِ مزارع وطا نهر الكلب وكفاك بهذا النهر دليلًا على منافع الريّ فانَّ مياههُ تجلب خصبًا وثروة حيثما تحلّ. ويمكن توسيع نطاق هذا الريّ بتوسيع قنيهِ وتنظيم مجاريهِ

٦ (نهر انطلياس) تتركّب الاراضي الواقعة في جوار هذا النهر من تربة جرفيَّة ومن الصلصال والرمل وكلّ هذه العناصر في غاية الجود لمغارس الليمون والنارنج والشجر المعروف بيوسف افندي فان سقت مياه النهر تلك البقعة لأتت بغلّات رائعة. ومعظم هذه البقعة لا يبلغهُ السقي فترى المياه تجري من رأس النهر الذي لا يبعد من البحر الّا كيلومترين الى البحر بلا نفع مع انهُ يسهل جمعُها واحسن طريقة للانتفاع بمياه هذا النهر ان يُصنع لها حوض عند مصبّها في البحر ثمَّ تُدفع بالمضخّات الى الاملاك الواقعة على علوّ ٢٠ او ٣٠ مترًا فتُسقى بذلك املاك واسعة لا تقلّ مساحتها عن ٢٠٠ الى ٣٠٠ فدان. وكان احد المتموّلين تحفّز لهذا المشروع فعارضهُ بعض اصحاب الاملاك وتصدّوا لهُ لاجتياز القساطل في ارضهم فطالبوهُ بتعويض مع أنهم كانوا اوَّل الرابحين من هذا العمل النافع وانَّ النزاع كان بسبب قطعة من الارض لا تزيد على مئة ذراع مربَّع

٧ (نهر بيروت ونهر الغدير) لهذين النهرين مياه تصلح ايضًا للسقي لو عُني بعض اصحاب الهمّة بجمعها وتقسيمها على المزروعات في ايّام الصيف بدلًا من ان تُهمل فتنضب وتضيع فائدتها

فهذا النظر الاجمالي في انهار لبنان دليل واضح على الفوائد التي يمكن اجتناؤها من مياهها والاعمال التي اشرنا اليها تنفع خصوصًا الاملاك الساحليّة . ولاهل لبنان في اماكن شتّى ان يتّخذوا لقراهم قنيًا صغيرة يستفيدون منها لسقي املاكهم

ولنا مثال على قولنا في قرية الباروك فانّ لها نبعًا غزيرًا عذب المياه يسمّى نبع الباروك وهو اصل نهر الأولي الذي يجري توًّا في الوادي وموقعه فوق القرية بنحو الف متر فلو ابتنى اهل القرية قناةً تأتي بالمياه من رأس هذه العين لامكنهم ان يسقوا ارضًا واسعة لا تنبت الآن شيئًا ويضاعفوا غلّة ارض أُخرى ينبت فيها شيء من التوت الضئيل لقلّة مائهِ . ولو اردتُ لأتيت بامثال اخرى عديدة تثبت قولي في سقي اراضي لبنان . والمصاريف في كلّ هذه المشروعات قليلة بالنسبة الى ما يمكن حصوله من الفوائد الجمّة للزراعة . وانّما الامر موقوف على همّة بعض اصحاب الاملاك في كلّ قرية

وكأني هنا اسمع البعض يعترضون عليَّ بخصوص هذه القني فأنّ كثيرًا منها لم تأتِ بالفائدة المطلوبة وخاب امل مصطنعيها . نجيب على هذا انَّ الذنب في الغالب ليس هو على العمل بل على العملة فانَّ القرويين اذا ارادوا جلب المياه وكلوا المشروع الى من ليس هو لهُ كفوًا فيفقدون دراهمهم على حجّة الاقتصاد او ينفقون على العمل اضعاف ما يقتضيهِ . وقد عرفت بعض ذوي الاملاك في جنوبي لبنان دعوا رجلًا بنّاءً لا خبرة لهُ بالهندسة ليضع لهم قناةً فباشر بالعمل ورفع وحطّ وجدّ وكدّ وبعد ثلاثة ايّام طلب ٢٠٠ فرنك لشغل قضاهُ بالجهد الجهيد ولو كان مهندسًا لأمكنهُ ان يقضيهُ في ربع ساعة . فحذارِ من هؤلاء المشعوذين فانَّ القوس يرمي بها باريها (لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

D^r A. MUSIL: Karte von Arabia Petræa (1:300000). *Wien, Hoelder.*

خارطة بادية التيه وبلاد مؤاب وادوم

قد عرف قرّاؤنا الدكتور موسيل واجتهادهُ في خدمة بلادنا (المشرق ١ : ٦٢٥) .

ومن آثاره الطيّبة خارطة وضعها آخرًا فافاد المستشرقين علماً عن بعض جهات سوريّة التي لم يزالوا يجهلون كثيرًا من اوضاعها اعني البلاد الواقعة بين البحر المتوسّط وبحيرة لوط والبحر الاحمر وما يلحق بها من بادية الشام شرقيّ بحيرة لوط . وقد كان العلّامة برونوف (اطلب المشرق ٨ : ٤٥٧ و ٩ : ٣٢٨) في كتابهِ عن حدود السكّة الرومانيّة من معان الى بصرى سبق فرسم تلك النواحي ودوّن اعلامها لكنهُ كان قد وهم في ضبط كثير منها فأصلحها الدكتور موسيل إصلاحاً تحقّقنا صحّتهُ في رحلتنا الاخيرة الى وادي موسى في ايلول ١٩٠٥ وما وجدنا الّا علمًا واحدًا لم نوافق الدكتور في ضبطهِ . وكفى بهذا بيانًا لدقّة العمل الجديد الذي يستحقُ كلّ ثناء . ومن خواصهِ فائدتهُ العظيمة لدرس الاسفار المقدّسة . لانّ البلاد التي رسم حضرتهُ صورتها انّما هي بلاد التيه التي طاف بها بنو اسرائيل مدّة ٤٠ سنة وبلاد مواب وادوم التي تكرّر ذكرها في الكتاب الكريم ومن ثمّ يحتاج كلّ دارس للاسفار المقدّسة فضلًا عن الجغرافيّ ان يرجع الى هذه الخارطة فيسدّ بها ثلمة خوارط سوريّة السابقة . لا سيما ان صاحبها الفاضل افرغ في صنعها غاية المجهود بعد ان تجوّل مرارًا برحلٍ متواترة في انحاء تلك الاقطار . ولا نزيد بوصفنا السابق انّ حضرة الدكتور رأى كلّ شيء رأي العين فرسم كلّ الجبال والاودية ومجاري المياه بعد ان عاينها بنفسهِ فانّهُ يصعب عملٌ كهذا على رجلٍ واحدٍ ولا شكّ انهُ استند في بعض رسومهِ الى ما سمعهُ من اهل البلاد ممّا يمكن تنقيحهُ وتحسينهُ وزيادة ضبطهِ بهمّة غيرهِ . لكنّ هذا لا ينقص شيئاً من فضلهِ ولا سيما في ما يختصّ بضبط الاسماء المكانيّة فانّهُ دوّنها بدقّة عجيبة ولو لم ينل غير ذلك من عملهِ واسفارهِ الشاقّة التي تجشّمها لاستحقّ شكرًا جزيلًا يؤدّيهِ لهُ الجغرافيّون واصحاب الدروس الكتابيّة . ونحن اول من يُسرع الى تهنئتهِ عن هذه التحفة الفريدة

ه . ل

Lady Amherst of Hackney. **A Sketch of Egyptian History, from the earliest times to the present day**. Illustr. a. maps, new a. cheaper issue, *London, Methuen*, 1906. XV-474.

خلاصة التاريخ المصري من القرون الغابرة الى عهدنا

هذا الكتاب ألّفتهُ سيدة انكليزيّة تُعنى كل اسرتها بتاريخ وآثار مصر فانّ قرينها المسيو امهرست مشهور بضلاعتهِ في العاديّات المصريّة وعلى نفقتهِ جرت علة حفريّات

كانت نتيجتها اكتشاف عدة آثار مخطوطة على البردي . وكذلك ابنتها السيدة .وليم ساسيل فانها اليوم في الأقصر مهتمّة بنظارة حفريات اخرى في مدافن ثيبة وهي التي اغنت متحف القاهرة بالمخطوطات الآراميّة على البرديّ المكتشفة قرب اسوان في جزيرة الظاهر والراقية الى عهد الفرس ممّا نشرهُ حديثًا العالمان ساس (Sayce) وكولاي (Cowley) . امّا مؤلفة الكتاب الذي نحن بصدده فلم تقصد بوضعهِ تأليفًا علميًا وانما غايتها ان تقدّم لوطنيّاتها الانكليزيّات كتابًا شائق الموضوع سهل القراءة يحبّب اليهنّ ارض مصر ومحاسنها واخبارها . ولذلك تراها قد اتّسعت في احوال المصريين المحدثين ولُغتهم العاديّة اكثر منها في تاريخ ارض الفراعنة . وممّا يزيد هذا المصنّف حسنًا جداولهُ وخوارطهُ وصورهُ التي تزينهُ فانّ كلّ ذلك يجعلهُ بمثابة دليل امر يمكن السيّاح الاستفادة منهُ والاستغناء بهِ عن دليل مكميلّان (Macmillan) وان لم يقم تمامًا مقام دليليَ موراي (Murray) وكوك

س . ر

MÉLANGES NICOLE, recueil de Mémoires de philologie classique et d'archéologie offerts à **Jules Nicole**, à l'occasion du 30e anniversaire de son professorat. *Genève et Bâle, Georg*. 1906, 8°, 672 p. avec 20 planches.

يوبيل الاستاذ نيكول

اعتاد الناس في عيد أحد الاهل والاحباب ان يقدّم لصاحب العيد طاقةً من الزهور ينبئ بذلك عمّا في قلبهِ من عواطف الاخلاص والحبّ لشخصهِ . امّا العلماء والأدباء فقد استبدلوا هذه الزهور الفانية بطاقةٍ أُخرى أبقى ذكرًا واذكى عرفًا فانّهم اذا ما ارادوا ان يكرموا احدًا اهدوهُ نبذًا علميّة او ادبيّة يصنّفونها ثمّ يجمعونها في كتاب واحد يقدّمونهُ لمن يريدون اكرامهُ . وقد سبق لنا في المشرق ذكر تآليف على هذا النمط . واليوم قد بلغنا كتاب وضعهُ قوم من تلامذة الاستاذ نيكول احد علماء كليّة جنيفا الممتاز بمعارفهِ اللغويّة وقراءاتهِ للآثار العاديّة . وهو يحتوي على ستين مقالة في مواضيع جمة نظموها في سلك هذه القلادة الدريّة التي زانوا بها صدر شيخهم المحبوب بعد ثلاثين سنةً من تصدّرهِ للتعليم . ولا يسعنا هنا ان نعدّد كلّ هذه المقالات التي تشمل كلّ ضروب العلوم من تاريخ ولغة وآثار وصناعة وبينها مصنّفات غاية في الجودة والحسن واحسن ما فيها المقالات التي وضعها بعضهم في الكتابات الاثريّة التي أُولع بدرسها المعلّم نيكول وكلها لم تُنشر بالطبع قبل الآن . نخصّ منها

بالذكر كتابة في المستعمرة اليهوديّة في الاسكندريّة وكتابة في تجهيز عدد من النوق لركوب بعثة من الجند في الجزيرة . ومعروضاً لامرأة تطلب التعويض عمّا اصابها من الاذى في حمّام . وبين هذه الاعمال مقالة مفيدة جدًّا في ترويرات الحجج عند القدماء. وفي الوسائل التي كان الفريقان يتّخذانها فرارًا من سوء عاقبتها كوضع التوقيع والختم وكتابة الحجّة بيد عامل عمومي وتسجيل هذه القرارات وحفظها عند ناس امناء . وكان الاشوريون يكتبون هذه الحجج على لوحين احدهما مقعّر والثاني اصغر ليدخل فيه فبعد تسجيلهما كانوا يجعلون اللوح الصغير في صوانه ويختمون اطرافهُ بالطين ويجعلونها في التنّور بحيث لا يمكن فتحهما وترويرها فكانوا اذا ارادوا مراجعتها فضّوا الختم فعرفوا حقيقة الامر . وفي الكتاب غير ذلك الّا انّما هذه الاسطر القليلة لا تفي بمحاسن هذا المجموع الذي ندعو كلّ محبّي الآثار الى اقتنائهِ ل . ج

كتاب المناهج في النحو والمعاني عند السريان

لمؤلفهِ حضرة القس جبرائيل القرداحي . القس الحلبي اللبناني

طُبع ثانيةً في رومية (سنة ١٩٠٦ ص ٢٣٥)

لم يكد يمرّ علينا ثلاث سنوات (المشرق ٦ : ٤٧٧) منذ ظهر هذا الكتاب بقلم وطنينا البارع حضرة القس جبرائيل القرداحي مدرّس العربيّة والسريانيّة في المدرسة الاوربانيّة الشهير بمطبوعاتهِ السريانيّة ورسوخ قدمهِ بلغة الآراميين فعرّفنا اذ ذاك فحوى الكتاب ووصفنا خواصّهُ وحرّضنا طلبة السريانيّة على درسهِ . وهاءنذا بطبعة جديدة استفاد فيها المؤلف ممّا عُرض عليهِ من الملحوظات فحسّن بعض الفصول وزاد في غيرها مضيفاً اليها متونًا وحواشي مفيدة . وكذلك راجع لتنقيح كتابهِ بعض التآليف الحديثة التي نُشرت آخرًا . وقد استحسنّا على نوع اخصّ الفصول التي افردها حضرة الكاتب للحروف السريانيّة فجمع فيها من التفاصيل والشروح ما يقرّب فهمها الى الدارسين ويزيل كثيرًا من مصاعبها . وكذلك اعجبنا فيهِ دقّة نظر صاحبهِ الفاضل في فلسفة اللغة فتراهُ يبحث عن اصولها ويعارضها باصول اللغات الشقيقة لها . ومجمل القول انّ هذا الكتاب من احسن ما وضعهُ الكتبة الموارنة في نحو السريان ومعانيهم كابن عميرة وابراهيم الحاقلاني والمطوشي فضلًا عن المحدثين كالكفري والرزّي وسيادة المطران دريان يستحقّ ان يتخذهُ طلبة اللغة السريانيّة كدستور لدرس لغتهم الشريفة ل . ش

شذرات

نكران الحقائق — ما انتهينا من تزييف قول احد مكاتبي البلدة بخصوص المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وتعريبهِ المزعوم لتوراتنا وسبكهِ لحروفنا الطبعيَّة حتى قام يناصرهُ المسمَّى ج. ن. في جريدة مصريَّة وادَّعى بأنَّنا نكرنا الحقائق فارعد وابرق ونفث السمَّ وبصق فما كانت حجَّتهُ اثبت من حجَّة زميلهِ . وعليهِ نكرّر ما قلناهُ سابقًا دون ان نغيّر منهُ حرفًا بأنَّ الشيخ الفقيد لم يعرّب مطلقًا الاسفار المقدَّسة المطبوعة في مطبعتنا وانَّما اقتصر على تهذيب عبارة المترجم وتصحيحها . وحسبك دليلًا على قولنا ما كتبهُ هو نفسهُ في البشير عن لسان الآباء اليسوعيين ثمَّ نقلهُ في الضياء . واليهِ اشرنا في المشرق (ص ١٩٢) : « ولم يألُ (اي الشيخ) في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها وضبطها وترصيفها بحيث افرغها من بلاغة قلمهِ في قوالب جاءت بها صور المعاني ممثَّلةً تمثيلًا » فأيمُ الله أيؤخذ من هذه الالفاظ غير ما قلناهُ عن تهذيب العبارة وتنقيحها ؟ ألا ترى في قولهِ « تصحيح عبارة الترجمة » انَّ غيرهُ كان المعرّب . فان لم يقنع الخصم بعد هذا افليس هو الناكر للحقائق ؟ وكذا يُقال عن حروف مطبعتنا فانَّ الراهب الذي سبكها لا يزال في قيد الحياة قد سبك ولا يزال يسبك منذ ثلاثين سنة معظم اشكال حروفنا والعملة الذين يساعدونهُ احياء يُرزقون مثلهُ فكأنهم شهود على انَّ الفقيد لم يُعنَ الَّا بحفر جنس واحد من حروفنا ولم يتمَّهُ فاصلحهُ الاخ المذكور واكملهُ . فهذه هي الحقيقة وما سوى ذلك يناقضها . فمعاذ الله ان نسلب المرحوم شيئًا من حقوقهِ لكنْ لغيرهِ حقوقًا ايضًا أَولى لا يجوز ان نهضمها . والسلام

اثر قديم — ارسل الينا جناب الشيخ فريد الخازن هذه الرسالة البديعة كتبها احد الفرنسويين سنة ١٧١٣ وهو فرنسيس الصليبي (François de la Croix) (١

(١ ان كاتب هذه الاسطر هو فرنسيس پاتيس دي لاكروا (Fr. Pétis de la Croix) كان رحل الى الشرق ثمَّ عاد الى باريس وخلف اباهُ في تدريس اللغات الشرقيَّة وفي وظيفة الترجمان من السنة ١٦٩٠ الى وفاتهِ سنة ١٧١٣ ولهُ آثار منها ترجمة كتاب فارسي يُدعى الف يوم ويوم . اما ابنهُ المذكور هنا فاسمهُ اسكندر ولد سنة ١٦٩٨ وتوفي سنة ١٧٥١ وصار كابيهِ وجدهِ ترجمانًا ومدرّسًا للغات الشرقيَّة

ترجمان دولة فرنسة يطلب منهُ ان يقبل ولدهُ في لبنان ويرعاهُ بنظرهِ ليتعلّم اللغة العربيّة وفقًا لمرغوب الملك لويس الرابع عشر

الى حضرة فخر الاماجد والافاضل شمس الاكارم والاماثل

المكرم نوفل الخازن (١ سلمهُ الله تعالى

نسيم الصبا بلّغ سلامي صبيحةً على من لهُ في القلب اعلى المنازل

يخص ذلك السلام لمن حرّر اسمهُ المجيد اعلاه قدر الله لنا قبل الممات لقاه كما قال عز من قائل

رسائل الشوق لا يقضى لها مدد والاذن تعشق قبل العين احيانا

فلمَّا تنسم صبا الشوق في نفحات الاسحار. وقد اهدى البريد لنا انوار الصحة وحسن الاخبار. فتلقّيناهُ بالتقبيل والقبول. وقلنا لهُ أنعم من رسول. فلمّا فككنا الختام. قلنا لهُ عليك السلام. فلاح لنا كنز خفيّ. انوارهُ مضيّة. يخبر عنهُ اخلاق الامير القونصل الرئيس في تلك القضيّة. فاخبرتنا ألسن الخاص والعامّ. وعلى الخصوص الشمَّاس اندريا الراهب (٢ المرسول (كذا) من عند المطران يوسف (٣ سلمهُ الله ورعاه عن اوصافكم الحميدة. وخصائلكم الجيدة. فازداد فرحنا من بعيد. وجعلنا ذلك اليوم عيد (كذا). فاقول اهديك سلامًا تعجز عن حمله اعناق الصبا وألسنة البلغاء سلامًا ارق من نسيم الاسحار وتغريد الاطيار. والذّ من نشيد الاشعار ونغمات الاوتار. الى ذلك الرحب السعيد يُهدى. والى الجاه المديد يبدى. ذو الايادي التي تزاحمت الافواه على تقبيلها. ومن مدح في باب الخير تعجيلها. فالمراد من تحرير ورقة العبودية والانقياد شكركم عن مكتوبكم السالف جزاكم الله عنا خيرًا وخرطنا في سلك احبابكم مع الاخلاص وان امرتمونا بخدمة لائقة فايقنوا باطاعة فائقة لندخل تحت ظل مودتكم الرائقة ونتشرّف بمحبتكم الشائقة. وقد نوى الملك المجيد حفظهُ الله ان يرسل ولدنا الذليل الى بلاد الشرق ليتعلم بالسن تلك النواحي والديار كما كان بعثنا في ايام الشبوبية واذا صار ذلك فنأمرهُ بالرواح الى جبل لبنان حتّى يقبّل اياديكم الشريفة من قبلنا فالمراد تقبلوا تجرُّونا بمكاتبتكم ومقصودنا نُعدّ من جملة العبيد والخدَّام حرر

حرّر من محروسة باريس في ٥ شهر تموز سنة ١٧١٣ والسلام

من العبد الداعي فرنسيس الصليبي
ترجمان الملك عُفي عنهُ

عيسى المزار هو القوّال الذي سبق لنا الكلام عنهُ في المشرق غير مرةٍ (٧:١٠٩٦ و ٩:١٠٩٨—١١٠٤ و ١٠:٩٥) فبقينا في ريب عن طائفتهِ

٢) الشيخ نوفل الخازن صار قنصلًا لدولة فرنسة في لبنان من السنة ١٧٠٨ الى ١٧٥٣

١) كان الاب اندراوس مرسلًا كَبُوجيًا

٣) هو يوسف ضرغام الخازن الذي صار بعدئذٍ بطريركًا على الطائفة المارونيّة سنة ١٧٣٣ وتوفي سنة ١٧٤٢

أسرياني هو ام كلداني وها نذا برأي ثالث لحضرة الخوري قسطنطين باشا الذي يرتأي انهُ كان من الروم الملكيين . واخصّ براهينهِ لبيان ذلك وصف عيسى الهزار لصيدنايا وذكرهُ للبطريرك يواكيم . قال حضرتهُ : « وصيدنايا كانت للروم الملكيين لا للسريان (١ ويواكيم هــذا بطريرك رومي ملكي وهو يواكيم ضوّ الرابع من اسمهِ وكان عيسى في خدمتهِ ورافقهُ في رحلتهِ الى بلاد الروس سنة ١٥٨٤ ولــهُ قصيدة في وصف هذه السياحة » قلنا انهُ يصعب توفيق هذا الرأي مع ما اوردناهُ في المشرق عن اصل عيسى الهزار من العجم وذكرهِ للسريان وقول صاحب مخطوط رومية انــهُ كان من اليعاقبة . ولعلّ هذا المشكل يمكن حلّهُ بقولنــا انّ عيسى المذكور كان اصلهُ من السريان فلمّا جاء من العجم وزار صيدنايا والقدس الشريف انحاز الى الروم وصار منهم . امّا القصيدة التي ذكرها حضرة الخوري قسطنطين فلدينا منها نسختان وهي الى النثر اقرب من الشعر يُقرأ في اوّلها اسم كاتبها وهو يُدعى المطران عيسى ولا يقال لهُ الهزار وهذا حرفهُ :

نبتدي بعون الله تعالى نكتب قصيد للمطران عيسى تلميذ الاب البطريرك كير يواكيم المتنيح قالها لما مضوا الى بلاد الروس والمسكو والفلاخ وغيرهم ويصف الكنائس التي جم والديورة والنواقيس والجملات والمحاسن وغيرهم

(ثم قال) نبدا باسم الاهاً واحداً (كذا) بالثات . رباً تعالى بملكهِ رافع السماوات . . .

اسئلة واجوبة

س سألنا احد القرّاء عن معاني بعض الفاظ وردت في الفصول الطبيَّة التي اثبتناها في العدد السابق وهي « اطريفل وافتيمون وجلنجبين وزيرباج وسكنجبين وشيرخشت »

شرح الفاظ طبيَّة

كلّ هذه الالفاظ اعجميَّة فالاطريفل من اللاتينيَّة « trifolium » نوع الحندقوق والافتيمون من اليونانيَّة « ἐπίθυμον » نبات شبيه بالصعتر وقيل هو هناةٌ تنبت عليهِ . والجلنجبين من الفارسيَّــة « كُل وانكبين » هو الورد المربّى بالعسل . والزيرباج من الفارسيَّة « زيرا » طعام من اللحم وثمر شجرة الزرشك مع كمّون وخلافه . والسكنجبين من الفارسيَّة « سك وانكبين » شراب من الخلّ والعسل او السكّر . والشيرخشت او الشيرخشك هو عسل الطلّ اعني المنّ الذي يتكوّن على بعض الاشجار ل . ش

١) في مقالة جناب الاديب حبيب افندي زيات (المشرق ٢ : ٥٨٨) ما يدلّ على انّ هذا الدير كان مدَّة في يد السريان